قلوب عبير الجديدة

مارغريت تاونسد

# الرجل المخيف

WWW.RGWITY.COM
مرمورية

# قلوب عبير الجديدة

## ليلة لا تُنسى

- في تلك الليلة التي اكتمل فيها القمر ، فانعكست أشعته الفضية ، وظهر كمرآة فوق أعشاب السافانا الإفريقية . تناثرت هنا وهناك خيالات أشجار جافة سوداء ، أغصانها مكسورة ... لاضجة ولاصوت هناك...
- وضع " كيرك ألاندر" يده فوق ذراع " كاري " وقال :

– ها هم أولاء هناك ... أمامك ..

- كانت عشرة ظلال سوداء ... تجري متتابعة فوق السهول .
- همست :

– انظر .. إنه الشيطان الذي يقودها ..

- قال:

– نعم ... والملاك تتبعه ....

# تقديم

هذه الرواية مزيج من العواطف الملتهبة والمغامرات ، وقعت أحداثها في غابات أفريقيا وأحراشها ، ويكاد صدق وصف تلك المغامرات يقنع القارئ بأنها وقعت بالفعل . بطل هذه الرواية مقدّم برامج تليفزيونية وكاتب مشهور ، نال إعجاب المشاهدين خاصة النساء بمظهره القوي الساحر ، وبصدق ما يقدمه من برامج واقعية التقطت أحداثها في وسط أفريقيا .

أدى انهماكه في عمله إلى فشل زيجته الأولى التي كانت مضرب الأمثال في قوتها . وكان فشل زواجه وبقاؤه مددا طويلة في الأدغال سببا في عدم رغبته في إقامة علاقات عاطفية طويلة ودائمة ، وإنما علاقات عابرة بين فترات عمله كنوع من التغيير .

وتدفع الصدفة البحتة بفتاة غرة ساذجة – لا تجارب حقيقية لها مع الرجال الناضجين – في طريقه ، عندما أرسلت وكالة "أعمال السكرتارية والمرافقة" تلك الفتاة بدلا من سيدة كبيرة السن ، تعودت على مرافقته في رحلاته للقيام بتلك الأعمال .

كانت الفتاة الشابة من المتيمات بحبه كنجم تليفزيوني ، ووجدت نفسها فجأة تعيش معه في مكان بعيد عن الحضارة والعمران ، وتعرضت لمحن وتجارب عاطفية ومغامرات كادت تودي بحياتها عدة مرات ، كما سببت الكثير من المتاعب لبطلنا .

وسيجد القارئ العزيز عند قراءته هذه الرواية تفاصيل هذه المغامرات ، مع وصف دقيق للحياة في الأدغال .



# شخصيات الرواية

١– " كيرك ألاندر "

رحالة وكاتب ومقدم برامج تليفزيونية مشهور ، وأحد دعاة المحافظة على الحيوانات البرية من الانقراض .

٢– " كاري شيبرد "

سكرتيرة ومرافقة لـ " كيرك ألاندر " تعمل بوكالة للسكرتارية والمرافقة للشخصيات المهمة .

٣– " سير تشارلز كنج وود "

شخصية نبيلة إنجليزية مرموقة . وهو ثري ، ويمتلك ضيعة واسعة وعدة مشروعات وجريدة يومية . وهو الناشر لأعمال " كيرك ألاندر " .

٤– " ليديا كنج وود "

ابنة السير " تشارلز كنج وود " الوحيدة من زوجته المتوفاة . فتاة مدللة وفاسدة يجيب والدها كل طلباتها . وهي شبه مخطوبة لـ " كيرك ألاندر " .

# الفصل الأول

حملق الرجل في " كاري " بنظرات نارية وقال في صوت غاضب :

– لقد أخبروني في الوكالة أنهم سيرسلون إلي امرأة ناضجة ، وليست صبية ساذجة .

أحست " كاري " بالغضب يتصاعد داخلها . منذ دقيقتين فقط تصورت ذلك الرجل في صورة بطل .

أخذت ركبتاها تصطكان عند فكرة أن تجد نفسها وجهاً لوجه مع هذه الشخصية التي كانت تعجب بها منذ وقت طويل ، والآن اختفت عنه تلك الصورة، ولن تغفر له ذلك أبداً .

كان سحره على شاشة التليفزيون يأسرك ، ويجعلك تفقد اتزانك . هل كان الأمر بكل سهولة مجرد واجهة يخدع بها المشاهدين ؟

هذا أمر محتمل . من المؤكد أنها كانت تعرف تلك الظاهرة ، ومن خلال السنوات الثلاث التي قضتها في العمل مع وكالة السكرتارية والمرافقة أتيحت لها الفرصة للعمل مع العديد من المشاهير ، وتعلمت جيداً أن السحر الجماهيري الواضح كثيراً ما يخفي وراءه نقص الموهبة والتظاهر بالتلقائية المزيفة الكريهة، ومع ذلك كانت تأمل أن يكون " كيرك ألاندر " مختلفا عن تلك القاعدة .

أطلقت زفرة حارة ، وحاولت أن تتناسى جسدها المتألم ، وحرارة أفريقيا الخانقة ؛ وكان احتفاظها بهدوئها في المقام الأول ، وقبل كل شيء . كانت وكالة " هافرشام " تؤكد على الفتيات ألا يفقدن صبرهن عندما يتبين لهن أن العميل يصعب التعامل معه ، أكثر مما يتوقعن .

– لقد طلبت من الوكالة أن ترسل لك فتاة في العشرين من عمرها . وأنا أبلغ الحادية والعشرين .

قاطعها " ألاندر " بحدة :

– لقد طلبت أن تكون في الخمسين من عمرها .. في الخمسين .



كرر قوله بصوت عال ، وكأنه يتحدث إلى صماء .

ودت " كاري " لو تجلس ، إذ كانت في الحقيقة متعبة تماما . ألا يستطيع هذا الرجل الأناني المغرور ، عديم الإحساس أن يحس بما تعانيه ؟ ولم تكن تشتهي سوى شيء واحد في تلك اللحظة : حمام ساخن وقدح من الشاي ويضع ساعات من الرقاد . وبدلا من ذلك ، تجد نفسها مضطرة إلى الوقوف وسط تلك الحرارة الخانقة ، وهو يوبخها بكلمات سخيفة حول عمرها . لذلك قالت له بنفاد صبر :

– " ياسيد " ألاندر " إنني آسفة لسوء التفاهم الذي حدث بالنسبة لسني ، ولكني أعرف في نفس الوقت أنني على كفاءة عالية بالنسبة للعمل الذي تنوي أن توكله إليّ وأنا كاتبة ماهرة على الآلة الكاتبة ، ومختزلة ممتازة ، وقد تعودت العمل في الظروف الصعبة وفي أية ساعة " .

فأعاد النظر إليها بعمق شديد ، وكأنه يحاول تسجيل كل تفاصيل شخصيتها: – نعم . ولكنك أيضا شقراء ، لك عينان زرقاوان يا آنسة " شيبرد "، وأنا أعرف أن معظم فتيات في مثل سنك يعوق الرجال عن التركيز في أعمالهم، ولهذا أكدت على تعيين فريقي من نساء متوسطات العمر ، وجسدهن غير متناسق .

لم تصدق " كاري " أذنيها:

– " وهل العكس صحيح ؟ هل يجب على الفتيات الجميلات الصغيرات أن يعملن مع رجال صُلع ولهم " كروش " ؟ ولو طبقنا نظريتك على علاتها لوجب ألا يسمح للرجال أن يعملوا مع النساء أبداً .

لأول مرة تلاعبت شبه ابتسامة على وجه محدثها ، وقال :

– من المؤكد أن محاولات الإغواء التي لايمكن تجنبها تضيع معظم وقت العمل لكن التفرقة الكاملة بين الجنسين ليست الحل الأمثل لتلك المشكلة .

– فيما عدا وحدتك الإنتاجية على مايبدو ...

زادت ابتسامة الرجل قليلاً . وأحست " كاري " بدقات قلبها . نعم لقد كان

سحره لايقاوم وبدا تأثيره عليها وإقناعه إياها ، ترى كم مشكلة حلها بهذه الطريقة ؟ ومهما كان الأمر، فلن يحدث ذلك بالنسبة لها. إنها ستعرف كيف تعيده إلى عقله .

– يجب أن تفهمي أن فريق العمل في الفيلم على الطبيعة ، فريق جاد ، اعتاد العمل عشرين ساعة كل يوم . ولما كنا نقوم بالتصوير في الطرف الآخر من العالم ، أياماً طويلة .. بل أسابيع ، فإننا لانود أن نتعرض للتوتر ، ولن يحدث ذلك إذا لم توجد فتاة صغيرة وجميلة مثلك بمفردها وسط الرجال ، وتلهب الجو ...

هزت " كاري " كتفيها ، ولم تهتم حتى بالرد .فمثل هذه الآراء لاتستحق الرد عليها ، ولكن ربما فسر حركتها تلك على أنها متعبة . قال :

– لاشك أن الرحلة قد أنهكتك . هيا إذن تناولي بعض الطعام ، واستريحي ، ولما كنت مجبرة على قضاء الليلة هنا على أية حال، فسنتحدث في الأمر فيما بعد .

تبعته إلى كوخ متسع من سعف النخيل، يملؤه هواء رطب لذيذ . كانت أمتعتها قد وضعت في حجرة المعيشة . ربما يكون " سيمون " هو الذي وضعها، وهو الرجل الذي استقبلها في المطار .

ولما لم يبد مضيفها أية رغبة في مساعدتها ، حملت حقائبها ، وسارت خلفه وهي تطلق زفرة غاضبة وقد أخذت تتخبط في خطواتها . ثم توقف . وفتح بابا وقال :

– يمكنك أن تحصلي على هذه الغرفة ، وهناك حمام في الممر ، ولكن لاتسرفي في استخدام المياه ، لأنها نادرة في هذه المنطقة .

دخلت " كاري " الحجرة ، وتخلصت من حذائها ، وألقت بنفسها فوق السرير وهي تعاني كلا من المقابلة العاصفة التي قوبلت بها منذ لحظات من " كيرك " و الإرهاق الشديد الذي نتج عن رحلتها الطويلة منذ ساعة وصولها إلى المطار، ولكن أرض أفريقيا سحرتها .فقد انتشرت بعض الأشجار ، وأكوام الحجارة من الجرانيت على الأرض التي جففتها أشعة الشمس ، بينما ظهرت



عن بعد التلال المنخفضة ذات القمم المستديرة ، وكانت السماء لامعة ، وقد انتشرت بها بعض الغيوم .

كانت تبدو أرضاً جميلة ، وإن ظلت بَرية . يسودها جو بدائي ، لكنها غامضة في نفس الوقت . أحست بأنها في ذهول ورعب في آن واحد ، إذ كانت تبدو لها أرضاً بكراً ، يولد داخلها شكل جديد من الحياة .

كان الديكور الطبيعي هو الذي يهم " كيرك "، ومن الغريب أن ذلك الرجل يؤثرفيها نفس تأثير تلك الحياة البدائية التي يحياها . إنها لم تكن تستطيع أن ترى مثيلا له في العالم ، ومع ذلك كان يمارس عليها سحراً مختلطاً بالخوف جعلها ترتعد . والعجيب أنها أحست بأنه يشكل لها تهديداً بالدمار جعلها تشعر بالرغبة القوية في أن تصارع كي تثبت قوتها . ولكن من أين تأتيها هذه القوة ؟

ربما تكون من وجهه . لقد رأته كثيراً فوق شاشة التليفزيون ، وكان في كل مرة يترك فيها نفس التأثير ، مثلما كان يؤثر في تسعة وتسعين في المائة من المتفرجات ، كان وجهه بعيداً عن المألوف . كانت ملامحه دقيقة ، ورموشه سوداء ، وخداه متوردين ، ولايشبه أبداً الملامح الكلاسيكية . ومع ذلك كان يشع جمالاً غامضاً .

وتذكرت " كاري " رد فعل الآنسة " هافرشام " عندما علمت بتكليفها بتلك المهمة . فقد صرخت الآنسة " هافرشام " بابتسامة ماكرة :

– " كيرك ألاندر " ؟ شخصياً ؟

– لاأعتقد أن هناك غيره باسم " كيرك ألاندر "

– ولكن كلما احتاج سكرتيرة مرافقة طلب الآنسة " جيفرسون " .

– إن الآنسة " جيفرسون " قد انتهت لتوها من قضاء أسبوعين معه في شرق أفريقيا ، ولسوء الحظ أجريت جراحة عاجلة لأمها وكان لابد أن تعتني بها ، وقد طلب مني السيد " ألاندر " إرسال فتاة تحل محلها .

حبست سارة ابتسامتها . فمهما كانت سن سكرتيرات وكالة " هافرشام " كان أفضلهن الفتيات الصغيرات ، كان يجذبهن المرتب المرتفع وإمكان القيام

برحلات ، مما جعل عشرات الفتيات يسجلن أسماءهن للالتحاق بالعمل ، ولكن يندر بينهن اللاتي كان يقع عليهن الاختيار . كانت الفتيات المختارات يخضعن لفترة اختبار مدتها ستة أشهر قبل أن توكل إليهن أول مهمة . وكانت وكالة "هافرشام" تضمن كفاءة عاملاتها .

وكانت "كاري" تحب العمل بالقطعة ، مما يتيح لها فرصة لقاء وجوه جديدة بانتظام . وهي الآن ستقابل "كيرك ألاندر" الذي كانت تعجب به سراً ، منذ سنوات طويلة ، منذ سن المراهقة ؛ إذا أردنا الدقة . وفي كل مرة كان يظهر فيها على الشاشة كانت تضطرب من شدة تأثيره عليها .

* * *

كانت تحلم عندما أفاقت على صوت طرق على الباب . فوجدته هناك عندما وصلت إلى الباب، ولكن صورة "كيرك" في تلك اللحظة لم تكن إطلاقا كصورته الساحرة على شاشة التليفزيون . وتمنت أن ترجع ثانية إلى "لندن" . ولكن ذلك لم يكن حقيقة ما تمنته . وحتى لو كان "كيرك" سيجعلها تندم على حضورها فإن هناك دائماً جمال أفريقيا الذي سحرها .والذي فاق كل جمال تصورته .

وتنهدت وأغلقت عينيها . ولكن رغم تعبها كانت متوترة ، حتى إنها لم تستطع النوم . فنهضت كي تفك أمتعتها، ثم أخرجت قميصاً للنوم مصنوعا من القطن من إحدى حقائبها مع بنطلون مجعد بعض الشيء من "الچينز" ثم ذهبت لتستطلع المكان بحثا عن الحمام .

دهشت عندما وجدتها مزودة بكافة الأدوات . فأخذت حماماً سريعا حسب تعليمات "كيرك" كي توفر استهلاك الماء . ولبست الملابس النظيفة . ثم ألقت نظرة على نفسها في المرآة ، وكان من الواضح أنها تأكدت عندما رأت نفسها في المرآة وهي ترتدي "التي شيرت" و "الچينز" أنها لايمكن أن تصلح لأن تكون نجمة سينمائية ، ولكن كان من الصعب في نفس الوقت أن تواجه البيئة الأفريقية ، وهي ترتدي الحرير الغالي ، والناعم ، أو ملابس السهرة الفاخرة ، أو قمصان النوم المثيرة . وكانت أيضا تود أن تتبع نصائح الآنسة "هافرشام"



بمحاولة الاقتصاد في ملابسها ، وأن تقتصر على "التي شيرت" و"الچينز" وبعض الأحذية المنخفضة ، أو التي بدون كعب عال . وعلى كل فإن الأمر لايهم بالنسبة للوقت الذي ستقضيه هنا .

سمعت صوتاً مألوفاً خلفها يقول :

– أرجو ياآنسة "شيبرد" ألا تكوني قد تعرضت للدغات الحشرات الضخمة !

قفزت مذعورة إذ لم تكن قد سمعته وهو يقترب ، وعندما استدارت وجدت أنفها يوشك أن يمس أنفه فهمهمت :

– لا .. لا .. لم أتعرض للدغ الحشرات بعد . ولكن كل ماهنالك أن الملابس جديدة ، وتسبب لي بعض الحكة .

فأدخل إصبعه في كم "كاري" وقال بلهجة تأكيد :

– إنه من القطن وهو نوع جيد .

لم تستطع الفتاة أن تخفي ابتسامة الرضا، ولكنها ندمت عليها في الحال . فهل هي صغيرة حتى تتيه فرحا لمجرد مجاملة عابرة كهذه ..؟ واتخذت في الحال مظهراً جاداً . وسألها "كيرك" :

– هل أنت جائعة ؟

– أكاد أموت جوعاً .

– تعالي إذن لنتناول العشاء .

وقادها ناحية الحجرة الواقعة في نهاية المبنى .

كانت هناك نافذة "بانورامية" تطل على منطقة زراعية شديدة البداوة . وكان في مقدم الأشجار شجرة كافور ضخمة تلقي ظلالها المختلطة ببعض الأضواء فبدت كالدانتيللا ، بينما امتد خلفها واد متسع يقود إلى غابات مظلمة . بينما كان هناك في نهاية المنظر أعمدة عند الأفق ذات ألوان زرقاء وأرجوانية. سألت "كاري" وهي تشعر ببعض الخيبة ، في حين نظر إليها "كيرك" متهكما.

– ألا توجد حيوانات ؟

– يوجد دائما حيوانات ، ولكننا لانراها . فهي في الساعات الحارة تكون

عاقلة وتظل في الظل .

وفتح الباب وظهر رجل قصير ذو شعر أشهب وقد حمل صينية بها طعام ووضعها فوق المائدة . كانت بشرته قد احترقت وأصبحت بلون الجلد البني ، ولم يظهر في سنه الحقيقية . وقال " كيرك " :

– أقدم لك " فيرجاس " ، وقد كان في خدمتي منذ أول فيلم تسجيلي لي .

فهم " فيرجاس " ، ببضع كلمات قبل أن يغادر الغرفة . وقالت " كاري " معلقة: – إنه ليس ثرثاراً .

– نعم ولكني لاأستطيع أن أستغني عنه .

ثم أشار إليها كي تجلس إلى المائدة ، وجلس قبالتها:

– إنه فريد في نوعه ، وأي شيء تطلبينه يحضره في الحال .

وسألت " كاري " وهي تلقي نظرة قلقة على طبقها :

– وهل هو فعلا يجيد الطهو ؟

– إنه ممتاز وذواقة .

تذوقت " كاري " الطعام بحذر ، وفوجئت بأن له مذاقاً لم تكن تتوقعه أسعدها فانهمكت في التهامه، دون حاجة إلى من يشجعها . وقال " كيرك " :

– نحن نعاني نقصاً في المواد الغذائية ولانستطيع أن نقدم طعاماً فاخراً . والوجبات هنا جيدة ولكنها عادية . وهذا الطبق اللذيذ نموذج لقائمة طعامنا وستعتادين عليه .

أصغت " كاري " بانتباه وقالت :

– كيف سيكون ذلك ؟ أعتاد هذا الطعام !! هل تفكر في أنك ستحتفظ بي هنا للنهاية ؟

هز كتفيه قائلاً :

– ليس أمامي خيار آخر . هل تتوقعين أن أجد سكرتيرة ممتازة في هذه الأدغال ؟

– إذن فأنت تغامر بي ، ألا تخشى أن أزرع الشقاق بين أفراد فريقك ؟ يالك من متهور !



– لاتعتمدي على حسن حظك ، فأنا مشهور بفساد أخلاقي .

لم تستطع " كاري " أن تكتم ابتسامة تهكم .

– ولكن اطمئني، فإن ثورات غضبي لاتستمر طويلاً . وإذا بقيت وجب عليك أن تتعلمي كيف تتحملينني ، حتى أعود إلى طبيعتي السمحة الرائعة .

فضحكت هذه المرة بصراحة وقالت :

– مفهوم ، ومادام هذا الأمر قد طرح للمناقشة ، فماذا تريد مني بالضبط ؟

أنهى طعامه قبل أن يجيب :

– إنك تعرفين دون شك أننا نصور الآن سلسلة عن حياة الحيوانات ، مع الاهتمام بوجه خاص بالفصائل النادرة ، والمهددة بالانقراض مثل :( حيوانات وحيد القرن ، والأسود ، والكلاب المتوحشة ) حيث بدأ عددها يقل بشكل ظاهر منذ عشر سنوات ، وهدفنا إقناع الناس بأنه من الضروري التوقف عن اصطياد هذه الأنواع . والمشكلة الواضحة هي أن حاجة الإنسان تتعارض مع حاجة الحيوان ، ولهذا السبب حاولنا أن نجد الوسيلة للمحافظة على التوازن بين الأمرين . ونعتمد على اقتراح إجراءات تسمح للدول النامية بالوفاء بمتطلباتها الاقتصادية ، مع الاحتفاظ بحياة الحيوانات البرية ، وقد مر عامان منذ بدأنا العمل وأوشك الآن على الانتهاء . لقد رحل كل الفريق فيما عدا " فيرجاس " و " سيمون " ولكني سأبقى بعض الوقت كي أكمل الكتاب الذي يجب أن ينشر في نفس وقت مشاهدة المسلسل . وستشتركين في المرحلة الأخيرة من النص ، لأنك ستقومين بكتابة يومياتي على الآلة الكاتبة .

– ولماذا لم يرحل "سيمون " مع بقية الفريق ؟ثم إنني دهشة ، لأنه لم يظهر بعد . لقد اختفى بعد أن قام بتوصيلي من المطار إلى هنا .

– من المحتمل أن يكون في غرفة التصوير المظلمة ، فهو لايخرج منها تقريبا إلا عندما يعمل على الطبيعة وفي تلك الفترة يقوم بالتقاط صور تشرح ماورد في كتابي . وهو في نفس الوقت يقوم بعمل شخصيّ ، هو إعداد ألبوم لصور خاصة بحياة الطيور في هذه المنطقة من أفريقيا ، وأعتقد أنه يأمل العثور على

ناشر له عند عودته إلى إنجلترا .

قامت " كاري " من فوق مقعدها ونظرت إلى محدثها في تحد وقالت :

– حسناً ! مادام لايوجد هنا سوى " فيرجاس " و" سيمون " وأنت ، فإنني أرى أنني لا أسبب مشكلة بوجودي بدل السيدة العجوز التي طلبتها ، وأظن أنني لا أشكل أي خطر حتى بالنسبة لهذا الثلاثي .

فصحح لها العدد قائلاً :

– الخماسي .. فلدينا أيضا صيادان يرقبان الأسود في هذه المنطقة . ولن تريهما بطبيعة الحال كثيرا ، لأنهما يحتلان مسكناً منفصلاً ويقضيان معظم وقتهما في الخارج .

نهض بعد ذلك وتوجه ناحية الباب ، ثم تراجع فجأة واستدار نحوها وقال :

– أما الإجابة عن سؤالك الأول فإن " سيمون " هو الذي يقلقني . إنه مصور بارع بشرط ألا يشغله شيء ، ولا أريد أن أراه يضطرب في كل مرة تقتربين منه.

أتت الفتاة الشابة بحركة تدل على ضيقها منه وقالت :

– لاتكن مضحكاً ، إننا لم نلتق ببعض قبل هذا اليوم ، ويجب أن تعلم أن " سيمون " هذا لم يبد أي ميل نحوي .

– أوه .. نعم .. إنني أعرف ذلك جيداً ، ولكنك لم تلاحظي لمعان عينيه عندما خرج من السيارة الـ " لاند روفر " .. أما عند نزولك ، فإنني أعترف بأنك لم تثيري لديه أي اهتمام بسحرك هذا .

– شكراً جزيلا ! لقد تأثرت كثيراً بصراحتك .

– العفو . أما بالنسبة لي فلا تخشي شيئا ، لأنني أحب السيدات السمراوات الناضجات ، وليس ذلك النوع من الفتيات الشقراوات الصغيرات اللاتي يشبهن التماثيل المصنوعة من الصيني . وإذا نظرت إليَّ بعينين جادتين فسيصل بنا الحال إلى العمل الجيد معاً . ويجب أن تتعلمي الاحتفاظ بهدوئك .

قال الجملة الأخيرة عندما رأى لهيب الغضب يصعد في عينيها ، ثم أكمل حديثه المتهكم :



ولا أعمل في حياتي سوى العمل الصالح بالنسبة للفريق .. وهناك نوع من الناس تدور رؤوسهم عند العمل مع نجم سينمائي ، وهو أمر سخيف تماما ، دون شك ، فليس لدي شيطان خفي ، وإنما أنا رجل مثل بقية الرجال يقوم بعمله ولاتبحثي أكثر من ذلك ، ولن تحدث بيننا مشاكل .

" رجل مثل بقية الرجال .. هذا هو الوصف الذي لاينطبق عليه أبداً "!

أحست " كاري " بالضيق والتوتر من تواضعه المصطنع . قال لها :

يبدو عليك التعب ، وأقترح عليك أن تنامي بضع ساعات حيث إن لدي نية بدء العمل في السادسة صباحاً ، وأرجو ألا تتأخري ، وتصبحين على خير يا آنسة " شيبرد " .

ثم خرج بخطوات هادئة ، وتركها مضطربة من شدة ما تشعر به من غضب .

* * *

صاحت " كاري " :

– هذا مستحيل ! لايستطيع أي شخص الكتابة على الآلة الكاتبة تحت هذه الظروف !

– إنني لم أسبب أية مشكلة للآنسة " جيفرسون " ولست مضطرة لكتابة كل شيء . كل ما عليك هو أن تكتبي ملحوظات متتالية ، وتستطيعين أن تعيدي صياغتها عندما يتاح لك الوقت ، وسأستخدمها بعد ذلك في صياغة النص النهائي .

– ألم تفكر أبداً في استعمال شريط تسجيل ؟ وهذا أسهل دون شك .

– كثيرا ما تفسد الأجهزة ؛ خاصة عندما نحتاج إليها . والجنس البشري أكثر تحملا بصفة عامة .

كان في صوته رنة ، دعت " كاري " إلى الصمت ، والتركيز على دفتر الملاحظات. ولم يكن ذلك بالأمر السهل ، إذ كان عليها أن تعمل وهي ملقاة على بطنها مستندة على حجر كبير .

كانوا قد بدءوا العمل قبل الفجر . كان الجو مظلما في البداية حتى إنها

اضطرت لكتابة ملاحظاتها على ضوء كشاف يدوي . كان أول يوم عمل لها ، ولم تستطع أن تؤديه على نحو مرض .

كانت مستعدة للعمل ست ساعات وفقا للاتفاق ، وتصورت بسذاجة أن " كيرك " سيجعلها تعمل في مكتب صغير . وكان من الواضح أن ساعة الصباح المبكرة للغاية قد أدهشتها ، وفاجأتها ، ولكنها قالت لنفسها : إنه ربما يفضل العمل في الصباح الباكر بسبب الجو المنعش . وربما يقوم الجميع بالراحة فترة الظهيرة القائظة . وعلى كل فهذه ليست بالفكرة السيئة .

ولكنها سرعان ماتبينت أنها كانت مخطئة ، فقد ظهر " كيرك " بعد دقيقتين ، وقد ارتدى مثلها " تي شيرت " وبنطلوناً من " الچينز " وألقى صديرية على كتفيه ، فلم تكن برودة الصباح تنتهي قبل ساعتين .

على الرغم من هيئة ملابسه غير المرتبة إلا أنه احتفظ بشكله الوسيم ، ورغم أنها حاولت إخفاء ضيقها إلا أن ذلك لم يفُت على من سبب لها الضيق .

كانت قد ربطت شعرها على شكل ذيل الحصان ، ولبست صندلاً بلا كعب ، كانت قد اشترته أثناء مؤتمر المرشدين السياحيين الذي كانت عضواً فيه .

وكان زيها مثالياً للسير ، وإن كان أقل إبرازا لأنوثتها ، ولكن ماذا يهم ؟

لقد أوضح لها " كيرك " بما لايدع مجالا للشك أنها لاتثير إعجابه كأنثى ، حتى إذا ارتدت ثوبا شفافا مغريا و لو كان أكثر الأثواب إثارة في العالم . ومن ناحية أخرى لم يكن لديها النية في أن تحاول إغراءه . ولاشك أنه لو كان في موقف غير هذا لأسعدها أن تبرز سحرها له ، وأن تشعل ناراً في مظهره البارد .

ولكنها الآن في هيئة مزرية ، خاصة وقد غطاها الغبار ، فقد كانت هذه الساعة لاتصلح لاستخدام الجاذبية ، ألقى " كيرك " نظرة على ملابسها ، وهز رأسه موافقا :

– على الأقل أنت مرتدية ملابس معقولة ، هيا بنا !

كانت تنتظر أن تتبعه إلى مكتبه ، ولكن لدهشتها وجدته يخرج من المنزل ، وينزل الدرج ويتجه إلى السيارة الـ " لاندروفر " فأسرعت الخطو كي تلحق به ،



ولكنه أمسك بطرف كمها ، فقالت له :

– إلى أين أنت ذاهب ؟

استدار نحوها وأطلق زفرة عدم صبر وقال :

– ياآنسة " شيبرد " : إنني أكتب كتاباً عن الحيوانات ، ومن أجل ذلك يجب عليَّ أن أراقبها وأدرسها أسابيع ، وأشهراً كاملة ، ويجب علي أن أعرف نوع غذائها ، وطريقة حياتها ، وكيف تربي صغارها ، وكيف يطارد بعضها بعضا ، وما أنواع العلاقات القائمة بين مختلف هذه الأنواع ؟ وهو عمل لا يتطلب الجلوس في مكتب دون عمل ، وأنتظر كي تصلني المعلومات المطلوبة .

سألته بخضوع وتوسل :

– ولكن ألم تحصل على كل ذلك وأنت تصور الفيلم ؟

تبين لها فجأة أنها لاتعرف أدنى فكرة عن العمل الذي ينتظرها . رفعت عينيها إلى السماء فقال :

– لماذا تريدين أن يكون الكتاب نسخة طبق الأصل من الفيلم ؟ لن يشتريه أحد ، لابد أن تختلف المعالجة ، والمعلومات الجديدة يجب أن تكون أعمق ، وهو مالا تتيحه إمكانات الفيلم . أسرعي من فضلك لأنني أريد الوصول إلى " كوبج " قبل غروب الشمس .

لم يكن لدى " كاري " أية فكرة عن " كوبج " هذه ولكنها لم تجرؤ على سؤاله عنها حتى يوضح لها الأمر .

جلست بجواره في السيارة ، وقد تكومت وأصابها الرعب من السرعة الرهيبة ، التي كان يقود بها سيارته ، بدأت تندم ، لأنها لم تضع حزام الأمان حول خصرها ، ليحميها من مخاطر الرحلة .

كانت كلمة " كوبج " تطلق على مجموعة أحجار مبعثرة فوق السهل ، يوجد في مقدمتها ، إلى حيث كان " كيرك " ذاهباً ، بركة مياه صغيرة ، وعدة أشجار قليلة ، كانت أفرعها تتجه ناحية السماء ، ولونها أصفر وشبه جافة .

طلب منها " كيرك " أن تنزل من السيارة فتقدمت وهي تتعثر على الأرض المغطاة بالحصى . جلس خلف صخرة منخفضة ، وأشار إليها أن تبقى صامتة

كان أمامها منظر طبيعي ممتد ، وعلى البعد خلف ظل صخرة كبيرة يوجد جُحر كبير ، بدأت السماء تضيء المكان شيئاً فشيئاً وكان أول شعاع للشمس قد بدأ يخترق السماء ويعكس ضوءه على الظلال الداكنة للصخرة . ولكن

" كاري " لم تشاهد شيئاً ، وقد ركزت نظرها على مدخل الجحر . ماالذي سيخرج منه ؟ لم تحاول أن تلتقط أنفاسهاوأخذت تتطلع إلى كل الظواهر الطبيعية الممكن حدوثها في لهفة .

كانت ترى – عن بعد – فهودا أو نمورا سوداء .

وفي الحقيقة لم تكن تعلم ما إذا كانت النمور تعيش في جحور من هذا القبيل أم لا . وكانت على وشك أن تطرح السؤال على " كيرك "، ولكنها أحست بحركة في الجحر جعلتها تضطرب رعبا . بعد لحظة ظهر خيال حيوان صغير يظهر في الضوء الشاحب ، فصاحت وهي دهشة وأحست بزوال التوتر عنها .

– إنه جرو !

ثم خرج جرو آخر ، لينضم إلى زميله ، وأخرج " كيرك " من جيبه كشافاً كي يضيء كراسة مذكرات " كاري " ، وهمس في أذنها :

– تكلمي بصوت خفيض ، واكتبي أن أول خروج للجرو الصغير كان في الساعة السادسة والنصف ولحق الثاني به في الحال .

واستمر في إملائها ، وكانت تسجل ملحوظاتها وكأن الجنون قد مسها ، وبدأ المنظر أمام الجحر يزداد حيوية ، إذ ظهرت الأم خلف الجرو الثاني . كانت أذناها كبيرتين ، وواسعتين ، وقد شُدتا إلى أعلى ، كما كان فروها محلوقا ، ولون رقبتها أبيض ، وتبعها بعد ذلك ثلاثة جراء ، وبدأت تلعب معا ، وتتوقف أحيانا كي ترضع من أمها .

صمت " كيرك " بضع دقائق كي يلاحظ شقاوة الجراء . سألته " كاري " :

– كيف يمكن أن توجد كلاب هنا ؟

– هذه كلاب وحشية ، وهي لاتنتمي إلى نفس فصيلة الكلاب الأليفة التي تعودت رؤيتها . وهي تصطاد في جماعات في السهول . وتقطع عادة عدة كيلو مترات .



وبصفة عامة فإنها تقيم في نفس المكان عدة أسابيع عندما تلد الأنثى .

كان يتكلم وكأنه إنسان آلي ، وبدا كأنه يبحث عن شيء في الظلام . وفجأة أضاء وجهه وقال بمرح :

– ها هو ذا !

وأخذت " كاري " تتأمل الظل دون أن ترى شيئا ، فسألت :

– ماذلك المفروض أن أراه ؟

– قائد المجموعة .

لمس ذراعه ذراع الفتاة وهو يقول ذلك ، فأحست برعدة ، ولكنه لم يحس بذلك لانشغاله باستيضاح ما أمامه . كان هناك بالفعل ذكر ضخم يقطع الأفق. وكان جلده أكثر سوادا عن غيره ، وأذنه نصف منزوعة ، وكان يبدو في مظهر شيطاني . همس " كيرك " :

– لقد سميته " الشيطان " .

وكان يردد نفس أفكار " كاري " دون أن تدري .

اقترب منها حتى لايرفع صوته ، وأحست بأنفاسه فوق عنقها ، وفجأة لم تعد قادرة على التركيز على المنظر الذي يجري أمامها . قالت وهي تحاول أن تحافظ على أن يبقى صوتها طبيعياً :

– وماذا سميت الكلبة ؟

– الملاك . لابد أن تكون ملاكاً حتى تتحمل هذا الشيطان العجوز .

تجول الذكر أمام الجُحر ، ثم أبعد بمخالبه اثنين من الجراء قفزا فوقه كي يلهوا معه .

أغلق " كيرك " عينيه وهو لايزال يصيخ السمع ، كان ثمة شيء عدواني في هيئته وتصرفاته حتى في هذا المنتجع المهجور الهادئ .

– حسناً ! إنني لاأحسد الملاك . لا أريد زوجا مثل زوجها .

تبينت تماماً ابتسامته الواضحة .

– في الحقيقة هي تبدو متيمة به تماما . ومن الواضح أن هناك بعض الإناث اللاتي يعشقن الخضوع للسيطرة ... هيا لو سمحت بتسجيل بعض الملاحظات.

بدأ في الإملاء دون أن يتيح لها الوقت للإجابة عن ملاحظته المثيرة .

وعادا إلى المعسكر حوالي منتصف النهار تقريبا . كانت " كاري " تحس بالإرهاق حتى أوشكت أن تسقط إعياء ، لقد ظلت راقدة على بطنها وركبتيها ، تكتب الملاحظات في هستيريا لساعات طويلة .

ولكنها ظلت تحت تأثير سحر هذه المغامرة ، وكان بإمكانها أن تستمر ساعات أخرى لو استطاعت ذلك .

كانا بمفردهما أيضا أثناء الغداء ، لأن " سيمون " خرج على أمل أن يحصل على صور للعصافير النادرة التي رصدها منذ المساء أحد الأدلاء .

كانا يأكلان في صمت ، وعندما انتهى " كيرك " من وجبته وضع طبقه في هدوء ، ثم نهض وأمرها :

– اكتبي هذه الملاحظات على الآلة الكاتبة في فترة ما بعد الظهر ، وسيدلك " فيرجاس " على مكان إقامتك ، وأمامنا أيضا بعض العمل الخفيف يا آنسة. لم تستطع الآنسة " چيفرسون " أن تكمله قبل عودتها إلى انجلترا . وأرجو أن تحاولي أن تنهيه اليوم .

بعد رحيله ، أتمت " كاري " طعامها في هدوء ، ثم أخذت تتجول في الحجرة. يا إلهي .. إنها لاتزال تحس بأنها مشدودة نحوه . كانت تود من صميم قلبها أن تأخذ حماما ساخنا كي تهدئ جسدها المتألم .

وعندما جاء " فيرجاس " كي يزيل ماعلى المائدة من طعام ، وانتها فكرة طارئة : فسألت :

– من أين تأتي مياهكم ؟

فأجابها وهو يجمع الأطباق :

– من نهر صغير يجري خلف المنزل . ألم تلاحظيه ؟

هزت رأسها نفياً .

– في الحقيقة لايمكن رؤيته من المنزل ، فهناك ارتفاع في الأرض يخفيه ، ولايمكن مشاهدته إلا من أعلى ، ومنه نضخ المياه التي نحتاج إليها ، ونرشحها كي يمكننا شربها والاغتسال بها .



قالت وهي تفكر :

– آه .. فهمت .

عندما خرج " فيرجاس " نهضت " كاري " .

مادام الماء يأتي من النهر فلابد أن يوجد منه الكثير ، فلماذا إذن تعيش في هذا التقشف المائي ؟

أحيانا قد يخون " كيرك " التفكير السليم ، أو ربما يجد المتعة في أن يرى الآخرين يتعذبون .

على أية حال فهي لاترى الآن سببا للحرمان .

لنقل إنها ستمنح نفسها نصف ساعة من الكسل اللذيذ وسط الماء.

بعد دقيقتين كانت تغطس في راحة ولذة في الماء . وبعد ذلك ستتأهب لتكتب مذكرات رئيسها العزيز على الآلة الكاتبة ، تخيلت أنها تغطس في ماء معطر باللافندر، فأغمضت عينيها .

* * *

# الفصل الثاني

ظلت " كاري " دون حراك للحظات ، وقد تملكها الرعب تماماً وهي تنظر إلى مياه " البانيو " وهي تنسحب حتى تتركه فارغا ، ثم أصابتها الهستيريا فأخذت تصرخ عاليا :

– اخرج ياعديم الحياء .

ولما لم يتحرك قيد أنملة ، أمسكت بأول شيء وقع في يدها ، وكان بالمصادفة قطعة صابون كبيرة ألقت بها في وجهه . لسوء حظها أنه تفاداها ببراعة وكان في إمكانها أن تتبعها بزجاجة العطر ولكنها استطاعت أن تتماسك ، وحاولت إغلاق بالوعة " البانيو " حيث لم يتبق سوى جزء من الماء كاف لتغطية عورتها . بشرط إعادة ملء " البانيو" في الحال .

ولكن " كيرك " كان أسرع منها فأبعد يد " كاري " ثم خلع السدادة ونزع السلسلة التي تمسك بها . فتخبطت الفتاة وهي تحاول الإمساك بملابسها التي كانت على الحافة البعيدة من " البانيو " .

وصل الماء إلى مرحلة حرجة ، فأخذت " كاري " تصرخ في جنون ، وأمسكت بمنشفة الحمام وهي تحاول إخفاء ما يجب إخفاؤه.

– إذا لم تخرج فوراً ... سأقوم ... سأقوم ...

– ستقومين بماذا ؟ هل ستهاجمينني بمنشفة حمام ؟ الحقيقة أرجو المعذرة ، لأنني اعتبرتك قطعة من الصيني . وأعترف الآن بأنني كنت على خطأ.

أمسكت المنشفة بشدة وقد زادتها حالة اليأس قوة ، ولفتها حول صدرها البارز، انهمرت دموع الغضب غزيرة من عينيها .

– لست إلا شخصاً قذراً . هل ستستمر في التطلع إلي حتى أصبح عارية تماما؟

– قد يحاول الكثير من الرجال ذلك ، ولكنك – كما قلت لك من قبل – لست من النساء اللاتي أفضلهن .

– في هذه الحالة لماذا إذن تقف كالتمثال هنا ؟

تبين لها وهي في غاية الرعب أنه لم يبق سوى ارتفاع خمسة سنتيمترات من



الماء في " البانيو " !

– لأنني لا أثق فيك .ماذا يضمن لي ألا تعيدي ملء " البانيو " مرة ثانية عندما أدير لك ظهري ؟

– أعدك أنني لن أفعل ذلك .

ياإلهي ! ما الذي يمنعه من الخروج ؟ لم يبق مزيد من الماء ، وكان جسدها مغطى ببعض الفقاعات من الصابون التي لن تلبث طويلاً حتى تختفي ، كان الموقف سخيفاً ، وكرهت أن تتعرض لهذا الإ ذلال.

كان " كيرك " مستنداً على الحائط دون اكتراث ، وأجابها دون أن يلقي عليها حتى نظرة واحدة :

– الطريقة الوحيدة التي تضمن لي ألا تعودي إلى ذلك مرة ثانية هو أن أظل هنا حتى تخرجي من الحمام .

في الحقيقة كانت " كاري " متضايقة لأنه لم يهتم بالنظر إليها . وكانت عيناه متجهتين بعناد ناحية النافذة . وكان من الواضح أنه مهتم بالمنظر خارج النافذة أكثر من منظر الجسد العاري . قالت له في صوت هامس وماكر :

– إنني لا أستطيع أن أصل إلى المنشفة !

فألقى إليها بالمنشفة دون أن ينظر إليها ، لفت نفسها بسرعة وخرجت من " البانيو ".

عندما أصبح جسدها ملفوفاً في هذا الغطاء أصبحت أكثر ثقة بنفسها ، وواجهته وعيناها تقدحان بالشرر :

– كيف استطعت الدخول ؟ لقد أغلقت الباب .

– الباب يفتح من الخارج ، وحاولي أن تتذكري ذلك مستقبلا ، إذا أردت أن تكرري هذا المنظر معي .

– لماذا كل هذه الثورة من أجل حمام ؟ إنها ليست جريمة على أية حال .

غام وجه " كيرك " وبدا عليه تعبير جعل ثقة " كاري " بنفسها تنهار .

– إن إضاعة الماء في هذه البلاد يعتبر جريمة .

– هيا . لاتحاول أن تلعب معي لعبة الخداع ، لقد أخبرني " فيرجاس " أننا نحصل على الماء من النهر فلماذا إذن نقتصد فيه ؟

– ليحمني الله من هؤلاء السائحات اللاتي يأتين إلى هنا وهن يعتقدن معرفة كل شيء . هيا اذهبي وارتدي ملابسك وإلا ركلتك .

كانت " كاري " على وشك أن تخبره أنه لن يجرؤ ، ولكن غريزتها أمرتها أن تصمت . والمشكلة أنه فعلا لن يجرؤ . إن هذا الرجل الواقف هناك لايهتم على الإطلاق باعتدائه على مبادئ قانون اللياقة . إنه لايتصرف إلا وفق هواه . ويبدو أنه قد أصابته عدوى الأماكن الموحشة التي عاش فيها طويلاً .إذ لايمكن لأي إنسان متحضر ، أن يدخل عليها الحمام بهذه الطريقة ويعاملها بعد ذلك تلك المعاملة الفجة .

– لو رآك جمهورك لعرف حقيقة شخصيتك .

شدت المنشفة على وسطها ، ثم اتجهت ناحية الباب .

إنني متأكدة أن عدد المعجبين بك سينزل إلى الصفر .

لم يجرحه ذلك التعليق ، بل بالعكس سره إلى أقصى درجات السرور .

– إنك تعنين أن سمعتي ستصل إلى عنان السماء .أتذكرين الملاك والشيطان؟ إنه ذلك النوع من الرجال الشياطين الذين يعجبون النساء . لقد عانيت الكثير من تلك المواقف مع النساء ، وكنت أحيانا في حاجة إلى حرس كي يبعدهن وكن يكتشفن كم أكون قاسياً لو أردت ذلك .

ورغم شعور " كاري " بالهوان إلا أنها وجدت نفسها تزداد تقهقراً كلما استمرت في الجدال معه . ولما أحست أنها في وضع المهزوم ، ارتدت ملابسها العادية وقررت الاستسلام ، وفي تلك اللحظة ورغم إرادتها ، فكرت من ناحية أخرى أنه يحاول إثارتها عن عمد . ويبدو أنه يجد متعة في تلك الألعاب وهذا التلاعب بالألفاظ . لابد أنه في جميع الأحوال كانت له الغلبة في هذا المجال لأنه كان قادراً على التفوق في جداله بثقة كبيرة .

عندما عادت " كاري " إلى غرفتها أغلقت الباب خلفها ، وحاولت تجفيف جسدها وهي ترتعد من الغضب . ولكن ماإن ارتدت ملابسها حتى سمعت طرقاً على الباب . كان إلحاحه مثيراً لاستفزازها إلى أقصى حد .

– هل غطيت جسدك ؟

– نعم ، وإن كان ذلك لايهمك كثيراً .



– توقفي عن التباطؤ واحضري بأسرع وقت فإن لدي شيئا أريدك أن تريه .

كانت على وشك أن ترفض بعنف ، ولكنها تمالكت نفسها في الحال . وما الفائدة ؟ لن يمنعه ذلك من الدخول ، وجرها بالقوة إذا أراد ذلك .

يبدو أن جميع الأقفال في هذا المنزل لافائدة منها .

ضمت قبضتها ، وبدا عليها تعبير بالتعالي واللامبالاة كي تخفي عصبيتها التي كانت تغلي داخلها ، وفتحت الباب . ياإلهي .. كم هو ضخم ، وقد سيطرت عليها ضخامته فبدت بالنسبة له ضئيلة . سألته :

– ماذا تريد ؟

أمرها وهو يمسك بذراعها أن تصحبه .كان يمسك بها بقوة ، حتى أنها لم تستطع الاعتراض .

رغم كل ما أحست به من غضب رأت وهي غير دهشة أن أصابع " كيرك " القوية أخذت تؤلم رسغها ، وولدت داخلها عاطفة غريبة لم تكن غير مقبولة على أية حال . تبعته وقلبها يدق .

سحبها خارج المنزل ، في اتجاه النهر الذي تحدث عنه " فيرجاس " ، كانت تلك الجهة من الكوخ أكثر اخضرارا من بقية الجهات ، وقد غطتها أشجار عالية وكثيفة . قفزت " كاري " ، وهي ترتعد بعصبية عندما وجدته يحمل بندقية .

– ولكن .. ولكنك تحمل بندقية .

– دون شك . من الآن يجب ألا نفترق .

كادت تختنق من الشعور بالذل .

– أنت ياامن اعتقدت أنك حام للطبيعة واستطعت أن تخصص إذاعات لوقف عمليات الإبادة ، تتجول الآن وبيدك بندقية وعلى استعداد للقتل ؟

ظل صامتا ، مما أدهشها للغاية . بعد لحظة صمت أشار بإصبعه إلى أكمة كبيرة عن يمينه :

– أخبريني إذن ماذا تفعلين لو ظهر وحيد القرن وراءك من خلف الأشجار فجأة وهجم عليك ؟

أخذت تتخيل الموقف بشيء من الخوف وتخيلت أنها وجدت الحيوان أمامها بجسده الضخم فشعرت بالقلق ، وقالت :

– أعتقد أنني سمعتك تقول إن وحيد القرن نادر جدا في هذه المنطقة من أفريقيا .

– فعلا ، ولكننا نخاطر أحيانا فنقابله من وقت إلى آخر .. أم أنك تفضلين الفهود على وحيد القرن ؟ إن معظم الحيوانات البرية تتجنب الطرق العادية حتى لاتلتقي بالإنسان . وافترضي أن الذئبة كانت مصاحبة صغارها . إن معظم الإناث تدافع بضراوة عن صغارها ضد أي خطر فعلي أو مفترض .

ابتلعت " كاري " ريقها بصعوبة وتابع " كيرك " حديثه :

– إن الذئبة مختفية في الظل ، ولايمكن رؤيتها إلا على بعد عدة أمتار ، ويكون الوقت عندئذ قد فات . إذن ماذا تقترحين أن نفعل ؟

– سأهرب بأقصى سرعة .

لم تضحك نكتة " كاري " " كيرك " .

– إن أي بطل" أولمبي " في الجري لن يستطيع أن يهرب من أي حيوان بري .

– حسنا لقد فهمت . إذن أمسك البندقية وأطلق النار على الحيوانات . هذا هو ماتريدني أن أفعله ! أليس كذلك ؟

– إطلاقا . يجب ألا نقتل الحيوان إلا في حالة الضرورة القصوى : عندما يستعد للهجوم عليك ، كي يمزقك إربا ، عندئذ تطلقين النار . ولكن غالبا ما تكفي طلقة إنذار كي يبتعد . وأرجو ألا تنسي أبداً أننا فوق أرض بدائية للغاية، ولايوجد شخص يسرع لنجدتك من الخطر وكل مرة تخرجين فيها من المعسكر تصبح حياتك بين يديك وإنقاذها يعتمد عليك شخصياً .

– هل اضطررت مرة إلى قتل حيوان ؟

– لا . وأحمد الله أنه لم يحدث ذلك أبدا . وأتعشم ألا يحدث إطلاقاً . ولكنني دائما أحمل البندقية أينما ذهبت ، وأتأكد من أنها معبأة ، وفي حالة صالحة .

بدأ يسير ، وفي هذه المرة حرصت " كاري " على أن تظل بجانبه تماما ، لأن كل الأشجار والنباتات بدت لها جميعاً مريبة .

– احتفظي برباطة جأشك . إنني لم أرغب في إخافتك ، وإنما أردت فقط أن تفهمي أنه لا داعي هناك للتعرض للمخاطر في هذه المنطقة .

وافقت على قوله بعصبية ، وتبعته في صمت حتى قمة المكان ، حيث توقفا



كي يلاحظا النهر الذي يجري تحت أقدامهما .

تبينت " كاري " بنفسها أن المياه تحت المستوى المعتاد . وكانت ترى على الشاطئين كمية كبيرة من الطين الجاف المشقق ، وحتى وسط بعض الأحجار المكومة في قاع النهر ، التي كانت عارية في بعض الجهات .

– إن السماء لم تمطر إلا قليلا في شهر نوفمبر ، وقد وصل مستوى المياه إلى حد الخطورة . وقد تعتقدين أن حماماً لايشكل معضلة ، وأن لك الحق فيه أحيانا، ولكن هذه اللترات القليلة من الماء قد تشكل مسألة حياة أو موت لحيوان عطشان ، وأعتبر إهدار الماء فيما يعد رفاهية كالحمام جريمة قاسية .

أحست " كاري " فجأة بالخجل يتصاعد منها .

إنها لم تكتف بالحصول على حمام معتدل ، ولكنها تعمدت ملء " البانيو" إلى حافته .

– لم أكن أعرف ..

هناك العديد من الأشياء لم تعرفها بدءا بهذا الرجل الواقف بجوارها . في اللحظة التي فكرت فيها أن تكشف عن شخصيته ، ظهر لها وجه جديد في شخصيته جعلها تزداد غموضاً .

ثم إنها لاتريد أن تصبح سريعة التأثر عند الاتصال به . بالتأكيد ، فإن ذلك سهل التفسير :لقد حلمت بـ " كيرك الاندر " طوال فترة مراهقتها ، وكل مرة رأته على شاشة التليفزيون كان قلبها ينبض بشدة ، كم مرة ارتعدت أمام صورته في التليفزيون ؟

من المؤكد أنها نضجت بعد ذلك ، ولكن ليس سهلا أن تمحى ذكرى حب المراهقة. وهو أمر طبيعي بصفة عامة . ثم إنه في هذه الظروف يجب ألا تشعر بالضيق في مواجهة الوضع .

رفعت رأسها بمزيد من الثقة ، وقررت ألا تلقي بالا إلى حالات التغير النفسي التي تصيبها .

عادا بخطوات نشطة ، أدخلها " كيرك " في حجرة صغيرة تحولت إلى مكتب؛ حيث تركها أمام كومة من الأوراق والمستندات المطبوعة على الآلة الكاتبة وعندما جلست أمام المائدة ، سمعت صوت السيارة " اللاندروفر " وهي ترحل ، ولم

تستطع أن تمنع زفرة راحة من أن تنطلق منها : حسنا إنها ستظل بمفردها طوال فترة ما بعد الظهر .

على أية حال لم يكن " كيرك " يمزح عندما أخبرها أنها ستنوء بالعمل . كان أمامها مسودات الفصول الأولى من كتابه في حاجة إلى أن تكتب على الآلة الكاتبة ، بالإضافة إلى صفحات أخرى تحتاج إلى ترتيب ، فضلا عما كتبته هذا الصباح . كان يلزمها عدة أيام حتى تنتهي من كل هذا . كما أن كتابة " كيرك " غير الواضحة لم تسهل عليها المهمة .

انهمكت في العمل بهمة ونشاط وطلبت من " فيرجاس " أن يحضر لها قدحاً من الشاي ، حتى تستطيع الاستمرار في العمل حتى الليل . ولكن في اللحظة التي ألقت بنفسها منهكة فوق السرير كان "كيرك " قد عاد .

وفي صباح أليوم التالي ، تبين لها وهي خائفة أنها لم تستيقظ في الساعة التي حددتها لنفسها . فارتدت " الچينز " بسرعة ولم تستغرق سوى وقت قصير لتمشيط شعرها الطويل الأشقر ، ثم خرجت من الحجرة تجري .

كان " سيمون " لايزال يتناول فطوره في حجرة الطعام ، فسألها وهو يقدم لها وعاء القهوة :

– أتريدين قهوة ؟

فنظرت إلى ساعتها وقالت :

– أعتقد أنني قد تأخرت ، والسيد " ألاندر " يحب أن يبدأ عمله مبكراً .

–يمكنك أن تقولي " كيرك " فلا داعي لكل هذه الرسميات ، ويمكنني أن أناديك باسمك مجرداً . أليس كذلك ؟ .

– بالتأكيد .

كان " سيمون " فتى وسيماً بشعره الأسود البراق ، وعينيه السوداوين وابتسامته الساحرة .

كان ثمة شيء في نظرته يجعلها تدرك أنها لم تعد تثير اهتمامه .

– خذي راحتك . فقد خرج " كيرك " فعلاً ، وهو يقول لك إن بإمكانك الاستمرار في العمل في النص طوال النهار .

قالت : حسنا . وهي غير قادرة على كتمان شعورها باليأس . ثم أبعدت تلك



الفكرة ومدت له قدحها وهي تبتسم كي يملأه لها .

– حسناً . في هذه الحالة يمكنني أن أتناول القهوة .

قال لها " سيمون " وهو يرتشف القهوة بتلذذ :

– أتدرين ؟ إنها غلطتي التي تسببت في وجودك هنا .

– ماذا تعني ؟

"ابتسم وقال :

– إنني أنا الذي أرسل البرقية إلى الوكالة كي أطلب من يحل محل الآنسة " جيفرسون " ولكنك تعرفين كتابة " كيرك " ، لقد خُدعت في خطه ، فكتبت اثنين بدلا من خمسة ، وطلبت من الوكالة إرسال فتاة في العشرين بدلا من امرأة في الخمسين . لقد فهمت وقتئذ أن الأمر غريب ، إذ إن " كيرك " يفضل العمل مع السيدات الناضجات ، لأنه يجدهن أكثر ضعفا ، ويعتقد أنهن لايسببن مشاكل كثيرة . ولكني اعتقدت وقتها أنه غير رأيه ، وأنه يريد شخصية أكثر شبابا بسبب جو أفريقيا ، وأحوال المعيشة فيها .

على أية حال لقد بدأت أعتقد أنني لم أرتكب خطأ في ذلك . لقد كانت الآنسة " جيفرسون " فعالة للغاية ، ولكن لم تكن لها عيناك الجميلتان الزرقاوان ... ولا بقية مظاهر الجمال عندك ...

وأمام هذا التعقيد في الأمور ، حاولت أن تغير الموضوع .

– أين ذهب السيد " ألاندر " ؟ أعني " كيرك " هذا الصباح ؟

– اعتقد أحد الأدلاء أنه عثر على آثار وحيد القرن عند النهر هذا الصباح ، وقد ذهب " كيرك " هناك ليستطلع الأمر ، ولمعرفة ما إذا كان الحيوان لايزال هناك وسط الأشجار الكثيفة ، أم لا .

وملأتها ملاحظة " سيمون " بالرعب :

– وحيد القرن ؟ أليس حيواناً خطيراً ؟ وماذا يحدث إذا هجم عليه ؟

– إن " كيرك " ناضج لدرجة كافية ، كي يتغلب على الأمر بمفرده . وعلى أية حال فإن وحيد القرن قصير النظر جداً . وقد تعتقدين أنه سيظل ساكناً تماماً إلى أن يقفز فوقك ، ويكفي أن تقفزي جانباً كي تتجنبيه . وصدقيني . فإن " كيرك " لديه فكرة عن ذلك .

لم تجد " كاري " صعوبه في تصديقه وعلقت :

– يبدو أنه يشعر بالراحة في هذا البلد ، والحقيقة أنه يمكن القول إنه جنة بالنسبة لعدو النساء .

فانفجر " سيمون " ضاحكا :

– هل " كيرك " عدو النساء ؟ من وضع هذه الفكرة الغريبة في رأسك ؟

– حسناً . مسلكه والطريقة التي ...

كانت تريد أن تقول :

" والطريقة التي عاملني بها منذ وصولي " ، ولكنها أمسكت في الوقت المناسب ، وقبل كل شيء ، فإن كونه لايتأثر بسحرها لا يعني أنه يفعل كذلك ، بالنسبة للباقيات ، وقد يكون تصرفه هكذا فقط للنساء اللاتي يشبهن الرخام . ومهما كان ألمها من هذا المسلك ، فإن الأمر سواء بالنسبة لها . إن شعرها الأشقر الطويل الناعم ، وبشرتها الملساء كالخوخ ، وعيناها الزرقاوان كزرقة البحر ، اللتا ن تزينهما رموش طويلة ، تجعل المرء يحلم بها أكثر مما يشتاق إليها ، ومع هذا لم تكن لديها القدرة على تحريك مشاعر " كيرك ألاندر " .

أخذ " سيمون " يثرثر ، دون أن يلاحظ صمتها :

– هناك أمر لابد من فهمه بالنسبة لـ " كيرك " وهو أمر أساسي : إنه يرفض أن يخلط العمل باللهو . وباختصار ليس للنساء وجود عند " كيرك " أثناء انشغاله بالعمل خاصة في فترة إبداعه ، ولكني أضمن أنه لن يتأخر بعد ذلك في تعويض الوقت الضائع . إنه ينشغل في عمله أكثر من لهوه ، وأقل مايمكن أن نقوله عنه : إنه لا يعجز عن العثور دوماً على شريكة .ولاحظي أن العلاقات الوقتية هي التي تعجبه .فهو يقضي بضعة أسابيع من الوقت المريح . ثم يعود مرة ثانية إلى الاستغراق في عمله فينسى كل شيء .

– وهل صديقاته الصغيرات يقبلن منه تلك المعاملة ؟

– ليس أمامهن وسيلة للاختيار ، فقبل أن يتا ح لهن الوقت للعراك يختفي في مكان بعيد منزو من العالم .

– إن هذا أمر معتاد بالنسبة لـ " كيرك " ! ولكن بقليل من الحظ سترد له إحدى النساء الصاع صاعين وسيكون من الممتع رؤية رد فعله .



بدا " سيمون " للحظة ، وكأنه على وشك أن يعلق بشيء ، ولكنه غير الموضوع، وبدأ يتحدث عن الصور التي التقطها في الليلة الماضية .

بعد أن تناولت " كاري " فطورها ، عادت إلى عملها ، وكانت قد تمكنت في الليلة الماضية فقط من أن تجمع أكوام المستندات ، وترتبها ، وفي نهاية الفترة الصباحية ألمتها أصابعها من الكتابة على الآلة الكاتبة ، وقالت لنفسها : إن والدة الآنسة " جيفرسون " قد اختارت وقتا غير ملائم لتجري جراحتها .

وكان الأمر يتطلب منها عدة أيام ، حتى يمكنها أن تعوض فيها الأعمال المتأخرة.

وقد ألمحت عدة مرات لـ " كيرك " أنه كان من الممكن أن يكسب وقتاً كبيراً لو عُني بتحسين خطه ، ولكنه زجرها بعنف قائلاً:

– إن ذلك لم يكن يضايق الآنسة " جيفرسون " .

ولما كان مزاجها قد اعتل من كثرة تقديسه للمدعوة الآنسة " جيفرسون " فقد ترك لها الغرفة دون أن يستمع إليها ، وتركها أمام الورقة التي كانت غير مقروءة.

وعلى الرغم من وقوع بعض الاحتكاكات المشابهة إلا أنه كان رفيق عمل ممتاز.

وكان يمليها مذكرات ، أو يراجع جزءاً من فصل كتبته على الآلة الكاتبة .

وكان في تلك الفترات يسودهما جو انسجام ، وكأنهما روحان تعملان على نفس الموجة من الإرسال .حتى بلغ بها الأمر أخيرا أن تقبلت تلك الساعات الثقيلة من العمل بصحبته ، بصدر رحب .

وفي نهاية الأسبوع ، فوجئت بمفاجأة سعيدة ،حيث دعاها " كيرك " للتريض معه .

سألته :

– أين سنذهب ؟

كانت في الحقيقة على استعداد للذهاب معه إلى أي مكان ، كي تهرب من منظر الآلة الكاتبة .

– أرغب في السير حتى نهاية النهر كي أستطيع أن أرى وحيد القرن مرة

أخرى .

– ولماذا تهتم إلى هذه الدرجة بالعثور عليه ؟

– لقد تناقص عدده في السنوات الأخيرة حتى أوشك أن يفنى في هذه المنطقة. وإذا ظهر واحد منه هنا فلا بد لنا من متابعته ، وكذلك يجب علينا حمايته من الصيادين ، حتى لوكنا غير موجودين في حديقة حيوانات عامة .

– الصيادون ؟ وهل يوجد صيادون هنا ؟

– يوجد دائما صيادون ، حيث توجد حيوانات للصيد . بعضهم من الوطنيين الذين يقتلون الحيوانات من أجل لحومها ، وهم إلى حد ما لهم العذر ، لأن الناس لا يستطيعون الحياة دون طعام ، وذلك لندرة الغذاء هنا . ولكن معظم الصيادين يكونون عصابات منظمة . ويصطادون من أجل التهريب . وهم يستخدمون سيارات سريعة وأسلحة أوتوماتيكية حديثة .

وهم لايعيرون اهتماماً لقيمة الحيوان أو مايعانيه لحظة قتله ، لأن كل مايهمهم هو اصطياده فقط ، وتحقيق كسب مادي من ورائه . أما بالنسبة لوحيد القرن فإنهم يبحثون عن قرنه فقط لأنهم يبيعونه إلى البلدان الشرقية ، أو يستخدمونه في أعمال الطب التقليدية ، وأحيانا يستخدمونه في صناعة مقابض السكاكين المنقوشة .

وسكت لحظة ، وقد ساد الحزن وجهه ، ثم استأنف حديثه بغيظ ، وكان صوته يرتعش من الثورة :

– هل سمعت .. مقابض سكاكين ! إنهم يذبحون الحيوانات من أجل قرونها فقط ، ومن أجل أن يصنعوا منها ماذا ؟ مقابض منقوشة من السهل صناعتها بأية مادة صناعية أخرى !

راقبته " كاري " في دهشة . كم كان متأثراً بهذا الموضوع ؟ ولم يكن ماتراه دوراً تمثيلياً عادياً أحسن إخراجه كي يثير تعاطف المتفرجين ، أو لزيادة مبيعات كتابه . إنها تؤمن بما تراه تماماً .

لقد كان يرغب في إيقاظ الضمير البشري حقا ، وأصبح الخطر الذي يواجهه من هؤلاء السفاحين يمثل محور اهتمام حياته .

وهبط حماسه فجأة ، وهز كتفيه باستخفاف :

– أرجو المعذرة . عندما أطرق الموضوع الخاص بالصيد ، فإن انفعالي يسيطر على تصرفاتي .



– لاتعتذر أبداً . إنه لأمر ممتاز أن يأخذ أحد المشكلة مأخذ الجد ، ويعمل على إثارة فضيحة عالمية ، يجب ألا تخجل من اهتمامك البالغ بهذه المسألة ، بل العكس هو الصحيح .

– لست خجلا ، ولكني لست معتاداً على إعطاء محاضرات حول هذا الموضوع لأي شخص . هيا تعالي .

أخذت السيارة " اللاندروفر " تدرج فوق الطريق غير الممهد بطول النهر ، وكانت " كاري " التي تجلس بجوار " كيرك " تتأمل بطرف عينيها بطلها اللغز الخرافي .

بدا لها أنه كلما ازدادت معرفتها به وبتصرفاته قلت معرفتها بأعماق شخصيته ، وفي الحقيقة بدأ يزداد تقبلها لصحبته ، والاستمتاع بها ، وهو أمر لا يقلقها .

ثم هناك هذا التساؤل حول اهتمامها الدائم به . إن أفكارها تلك لامعنى لها ، وهل هي بسبيلها للوقوع في حبه ؟ بالتأكيد لا . ثم هل هي ترغب في القيام بمغامرة مع هذا الرجل ؟ هذا أيضا أمر غير وارد . لقد كانت " كاري " دوماً في رعب من ذوي الأخلاق الإباحية ، والنتيجة ؟

النتيجة : لاشيء . ثم هل بدأت تغض البصر عن القاعدة الذهبية لوكالة " هافرشام " ؟

" يجب عدم الدخول في علاقات عاطفية مع العميل " . لقد أكدت لهن الآنسة " هافرشام " بشدة أن أية واحدة لاتلتزم بهذه القاعدة ستطرد من فورها .

ولما كانت " كاري " تحب عملها ، ولاتريد أن تفقده ، فقد قررت الابتعاد عن " كيرك " .

كم هو جميل ذلك الشعار : " لاترتبطي أبداً بعلاقة عاطفية مع العميل " . إنها حتى هذه اللحظة لم تكن لديها النية لمخالفته .

حتى الآن ؟ ماذا يعني هذا الانحراف في تفكيرها ؟ وفجأة ندمت " كاري " لأنه لم يدعها تكمل عملها بعد الظهر في المكتب ، على الأقل كانت ستشعر بالأمان .

ومن المؤكد أن ذلك يعد أكثر أمنا من وجودها في وسط أفريقيا البكر المتوحشة ، ودليلها هذا الرجل ذو السحر الغامض .

# الفصل الثالث

سارا عدة كيلو مترات بطول النهر دون أن يشاهدا أثرا لوحيد القرن . أخيرا وقف " كيرك " السيارة في مكان ظليل ، وأبطل المحرك .

كان مجرى النهر محاطاً بالشجر ، وعلى عمق مائة متر خلفهما تماما ، يوجد انهيار صخري . قال " كيرك " :

– سنصعد فوق هذه الأحجار ، حتى يمكننا الرؤية بصورة أفضل ، ولاتنسي – على الأخص – قبعتك ونظارتك الشمسية ، لأن الجو حار جدا هناك .

وفي الحقيقة إن أنفاسها قد تقطعت عندما وصلا إلى القمة ، وغاظها أنه لم يبد عليه أي أثر للتعب . ألقت بنفسها إلى جواره وهي تضع قبعتها فوق رأسها ، سألته حين كان يراقب الأفق بنظارة معظمة :

– عن أي شيء تبحث ؟

– لاشيء محدد .. أحياناً يظل المرء هكذا ساعات دون أن يرى شيئاً . وأحيانا أخرى يحس المرء كأن نصف الحيوانات الأفريقية قد تجمعت هنا ، وكأنها نظمت عرضاً من أجلك .

وكان واضحاً أنه يوم مجدب . لم يريا سوى بعض الحيوانات التي كانت ترعى عن بعد مثل : الحمار الوحشي ، والغزال ، وغير ذلك لم يكن إلا الفضاء تحت الشمس الرهيبة . لم يبد أي تأثر بهذا الجو عند " كيرك " ، فقد تمدد بجوارها وقد بدا راضياً ، هادئ الأعصاب ، وكان يلقي من وقت إلى آخر نظرة على المنظر الطبيعي الممتد أمامه ، ليتأكد من أنه لم يفته منه شيء .

كانت " كاري " على العكس منه ، مشدودة للغاية دون أن تترك شيئا يمر أمام عينيها . لم تستطع التخلص من شعور غير معقول . إنها تجلس بجوار فهد ، لايمكن تحديد قوته ، يصطنع استكانته .

وبعد مدة أثقل عليها الصمت الذي ساد بينهما ، حاولت إيجاد موضوع للحديث معه ، لا يكون محفوفاً بالخطر ، وأخذت تصلح من صوتها وهي تقول :



– ما الذي تفضله ؟ تصوير الأفلام أم الكتابة ؟

– يمكن القول : إنه تجسيد تليفزيوني من أجل ربات البيوت .

– إذا لم تكن تحب تلك الإذاعات فإني أتساءل ، لماذا تقدمها كثيرا ؟

– لأنها تدفع الجمهور لشراء كتبي .

– آه .. حسنا . وأنت تفعل ذلك من أجل المال ؟

وعند سماعه تلك الكلمات ، قام واقترب منها كثيرا ، حتى إنها كانت تتنسم عطره الرجالي الخفيف .

– إذا لم تريدي أن تتلقي الركلة التي وعدتك بها ، فأرجو ألا تثيريني .

أحست بالبرودة تسري في جسدها رغم الحرارة الشديدة التي كانت تسود المنطقة ، وشعرت فجأة أنها في منطقة الخطر .

– حسناً . إذن فأنت لا تفعل ذلك من أجل المال ، وعلينا ألا نتحدث في ذلك إطلاقا .

– ولكني أعمل في سبيل الحصول على المال .

– إن لديك روح التناقض حقاً .

– بلا شك ، وأحب أيضاً أن أراك غير مستقلة ، وكأنك قطيطة ثائرة . وهذا يغير من الجو البارد الذي تشيعينه دائما ، خاصة عندما تكونين فعالة ومنهمكة في العمل .

– فعلاً أنا فعالة . فأنا من أحسن المرافقات بوكالة " هافرشام " . وأنا التي يرسلونها دائماً للشخصيات المهمة ، وأنا ...

توقفت فجأة ... يا إلهي ! ماذا حدث لها ؟ لم يحدث لها من قبل أن أثارها عميل مثلما حدث مع " كيرك " ، مهما كانت صعوبة عمله ، فقد سبق لها أن واجهت صعوبات مع آخرين ، بل إن البعض كان مثله ، ولكنها كانت دائما تسيطر على نفسها ، ولم تفقد أعصابها ، قط ، بشرط ألا تعلم الآنسة " هافرشام " أي شيء عن ذلك .

– أرجو المعذرة . لم يكن من الواجب أن أحدثك هكذا

ألقى بنفسه على الأرض ، وأغلق عينيه .

– هيا .. هيا .. إنني أفضل الناس الذين يتحدثون عما بداخلهم . في الحقيقة أنا الذي بدأت بمعاكستك . كان لدي سبب يجيه يجعلني أرغب في أن يشاهد الناس أفلامي ويشتروا كتبي ، لأن ذلك يؤدي إلى حصولي على رؤوس أموال ضخمة كي أمول مشروعات جديدة وهو أمر في غاية السهولة . ولسوء الحظ فإن مخرجي الأفلام النسائية لربات البيوت مغرمون بالتهكم على عملي ، ويحاولون التلصص على حياتي الخاصة .

لم تستطع " كاري " أن تمنع نفسها من الابتسام وهي تفكر في طريقة هروبه من الأسئلة الخاصة .

– قد يكون من الأفضل لك أن تكون حياتك الخاصة أقل إثارة ، وبذلك لاتضطر إلى إشباع فضولهم .

وفتح إحدى عينيه :

– ماذا تريدين أن تقولي بالضبط ؟

كانت تتحدث بأدب شديد ، ولذا لم تفهم لماذا ساد الجو توتر وتهديد دون سبب؟

– أعني ... أنه من الحقيقي أن الجميع يتحدثون عنك دائما في الأوساط الاجتماعية ، ولك مكان بين الشائعات ، وهو مالا يسعد فتياتك الصغيرات .

– لمعلوماتك الخاصة ، فإن الفتيات الصغيرات هن اللاتي يسألن الصحفيين . واعلمي ياعزيزتي " كاري " أنهن يسعين إلى أن تنشر صورهن مع الشخصيات البارزة .

– إذن لماذا تخرج مع هؤلاء الفتيات ؟

أفلت هذا السؤال رغما عنها ، وفجأة التهب خداها ولم تفلح الشمس في إخفاء ذلك .

– أقسم بأنك فتاة فضولية كريهة ، ويبدو لي أن الإجابة عن سؤالك تأتي من نفس السؤال ، إنني أحب الفتيات الصغيرات ، لأنهن يعرفن كيف يمتعنني ، وأعتقد أنك تعرفين تماماً ما أعنيه .



وكانت " كاري " في تلك اللحظة مشتتة وهمست :

– نعم أعرف .

– يبدو لي أنني ألاحظ بعض المعارضة في كلامك . ماذا يعني التمتع في رأيك يا " كاري " ؟

هزت كتفيها ، وقالت في نفسها :

" حسنا سأخبره بما يريد أن يعرف ."

– ممارسة الحب دون حب .

لم تتجرأ على النظر إليه ، ولكنها أحست أن نظرته تخترق كل جسدها .

– هذا حسن ، وأنا لم أخدع فيك : هناك بعض المعارضة . إنك تحكمين بالإدانة على الطريقة التي أسلي بها نفسي ، عندما لا أعمل .

– ليس من حقي أن أوافق أو لا أوافق . أنا لست سوى سكرتيرتك ، ومرافقتك، ودوري يقف عند مساعدتك على إنهاء كتابك ، وهذا كل مافي الأمر .

– ماهذا النمط من الصلاح . أود أن أعرف كيف أصبحت كاملة هكذا ؟ حدثيني عن نفسك يا " كاري " .

ضغطت على أسنانها ، وقد صممت على عدم الإجابة ، ومع ذلك هتف صوت من داخلها ، يدعوها إلى إطاعة ذلك الرجل ، الذي كانت تنتابه نوبات تغيير في المزاج بغير توقع .

– إنني أبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً ، وأعمل لدى وكالة " هافرشام " منذ عامين ، وقبل ذلك كنت أشغل عدة وظائف في السكرتارية ليست لها أهمية كبرى . ولهذا السبب سجلت عضويتي في الوكالة .. هل يكفيك هذا ؟

– لا . دون شك . أريدك أن تتحدثي عن نفسك ، وليس عن مهنتك . ولنبدأ بوالديك إن كانا لايزالان على قيد الحياة .

– نعم .

– أنت أكثر مني حظا ، فقد توفي والداي منذ سنوات طويلة .

دون أن يتيح لها فرصة تقديم العزاء استمر في حديثه :

هل لك أصدقاء مقربون ؟

– في الماضي أم في الحاضر ؟

– لقد بدأت تفهمين . أقصد الاثنين ؟

– في الماضي كان لي الكثير منهم . أما في الحاضر فلا توجد صداقة ذات قيمة .

هل كانت على حق عندما أدلت بالحقيقة ؟ألم يكن من الأفضل أن تخترع حبيباً مؤقتا ينتظرها الآن في إنجلترا ؟ لقد نفعتها هذه الخطة عدة مرات في الماضي. ولكن لم يطرأ على بالها أن تكذب أمام هذا الرجل ذي النظرة المسلطة عليها والتي قد تسبب لها عدم الشعور بالراحة .

– إنني أتساءل كيف لفتاة مثلك وصلت إلى سن الثانية والعشرين ، ولم تتزوج، أن تكون لها علاقة جادة ؟ هل أنت خائفة من أن تهبي قلبك مثلاً يا "كاري" ؟ هل خلف هذا المخبأ البارد يوجد فأر صغير ذليل ، يخشى أن يقع في الحب ؟

فصاحت ، وهي تنهض مرة واحدة :

– كفى . ليس لك أي حق في إخضاعي لهذا الاستجواب .

– هيا ! هيا ! إن فتيات " هافرشام " لا يثرن أبداً ، ولا يفقدن أعصابهن .

كان على حق دون شك ، إذ كانت هذه إحدى القواعد الذهبية للوكالة . فمهما كانت عيوب العميل يجب تحمله دون أن يفقدن الابتسامة .

ومع ذلك كانت " كاري " في بعض اللحظات تنجح في رسم مايمكن أن يشبه التقطيبة أكثر منه الابتسامة . كان يبدو أن " كيرك " مستمتع للغاية . ياله من شخصية كريهة ! كان جلياً أنه يقرأ وجهها ، ويستعذب كل لحظة صراع داخلها كي تسيطر على غضبها . فمهمت :

– أريد أن أعود . فالجو شديد الحرارة ، وأحس صداعا مؤلماً .

– هيا اجلسي داخل السيارة . فليس لدي نية الرجوع قبل ساعة .

أخذت تضرب الأرض بقدميها وقالت :

– ولكني أريد العودة الآن .

ثم عضت شفتيها ولكن بعد فوات الوقت . وها هي ذي الآن ترتكب حماقات



وكأنها طفل مدلل .

– أين ذهب إذن شعار السكرتيرة النموذجية ؟

– إذا أردت أن تبقى فسأذهب على قدمي عن طريق اتباع النهر ولن أضل الطريق .

– ألم تتعلمي شيئاً منذ حضورك ؟ إنك لست سوى شقراء صغيرة طائشة .

ففرت " كاري " فاها دهشة من ملاحظته العنيفة . أكمل ثورته :

ألا تفهمين مدى الخطر الذي تتعرضين له وأنت بمفردك ؟ لقد اعتقدت أنني استطعت أن أغرس ذلك في رأسك ، ولكن يبدو أنني خدعت . ثم هل في إمكانك اختراق عدة كيلو مترات من الغابات والأحراش دون حراسة ؟أستحلفك بالله يا " كاري " ، فكّري بعقلك .

كان على حق فعلا ، ولكن طريقته لم يكن من السهل هضمها . لقد تصرفت فعلا تصرف البلهاء ، وتكلمت دون تفكير ، ولكن هذا لا يعطيه الحق في إهانتها هكذا .

لماذا يتعمد أن يستخدم تلك اللهجة القاسية معها دائما ؟ هل لكي يقنعها أكثر ؟ ولكن لا . لا فائدة من المراوغة : فهذا الرجل ليس إلا متوحشاً .لاشك أن حياته في الأحراش قد حولته من رجل متحضر إلى رجل يعيش في الكهوف .

ومع ذلك فإن " كاري " لم تكن ممتنعة بهذا التفسير . فبالنسبة لرجل الكهف هناك آثار تثبت أن حياته لم تكن تخلو من العاطفة والشاعرية .

إذن ؟ من المؤكد أن " كيرك " سيبقى لغزا بالنسبة لها ، أحست أنها لن تستطيع حله في الوقت الحالي .وكل ما كانت تشتهيه هو أن تجد نفسها بمفردها ؛ حتى يمكنها ترتيب أفكارها ، وهمهمت أخيراً :

– حسنا . سأعود وأنتظرك في السيارة .

– لاتغيري رأيك . ولا تتجولي بعيدا عن هنا . أرى النهر واضحا ، ولن أتأخر في الإمساك بك إذا ماهممت بارتكاب أية حماقة .

– إنني لست ساذجة . أرجوك أن تكف عن معاملتي كشخص ناقص الأهلية .

– الهدوء .. الهدوء . في الحقيقة لقد بدأت أتساءل عما إذا كنت قد خدعت

فيك. إنك تشبهين القنفذ أكثر من الفأر . أتدرين أنني بدأت أهتم بك يا "كاري" ؟ إنني واثق من أنك تخفين أمراً تحت أشواكك ...

أخذ قلبها ينبض بعنف ثم أدارت له ظهرها ، وبدأت تنزل ، وهي تتعثر فوق الأحجار والحصى .

ياله من نموذج قذر ! ولكن لماذا تؤثر مغاكساته السخيفة فيها هكذا ؟ لقد قال:

" هناك شيء تخفينه " ، إنه حقا لا يعرف أكثر من أن يستفزها حتى تفقد سيطرتها . هل هو فعلا على خطأ ؟ منذ وقت طويل عرفت " كاري " أنها لا تشبه الفتيات الأخريات في عدة جوانب . وقد يرجع ذلك إلى طفولتها المتعددة الإقامة ؛ حيث كانت ابنة أحد الدبلوماسيين ، مما أتاح لها التجول في العالم أجمع ، وعندما بلغت العاشرة ، كانت قد عاشت في أكثر من عشر دول ، وتعلمت في عشر مدارس ، كانت معظمها متعددة اللغات ، وكم أحبت هذه الحياة!

وأطلقت زفرة . كان في داخلها طبع بوهيمي يجعلها لا تستقر في مكان واحد وكان لابدلها أن ترى الجديد باستمرار ، وأن تطلع على معارف جديدة ، وتحديات جديدة ، وأن تحصل على تجارب متجددة . ولهذا السبب توافقت أعمال وكالة " هافرشام " مع رغباتها ، إذ جعلت منها مرافقة دولية .

كانت حياتها تلك نوعا شبيها بحياة البدو الرحل في شكل حديث ، ولكن هل يمكن أن تعيش يوما ما حياة عادية ؟

هل هي تقدر على الاستقرار في منزل صغير في إحدى الضواحي المريحة ، مع زوج وطفلين ، لكي ترتبط بالوسط القومي ؟

رغم كل خطب " حركة تحرير المرأة " كان الناس ينتظرون ماستفعله الفتيات في مثل سنها ، بالنسبة للتمسك بالتقاليد ؟ من حيث المبدأ لم تكن إطلاقا ضد الزواج ، ولكنها لم تصل إلى تصور أن بإمكانها أن تتولى مسؤولية ربة البيت . وربما لهذا السبب لم تقابل بعد الرجل الذي يمكنها أن تتزوجه .

ومهما كان فهي في سن الثانية والعشرين ، وإنها لتتساءل أكثر فأكثر، هل



يمكن أن ينتهي بها الأمر إلى أن تصبح " عانساً " ؟

عندما وصلت إلى أسفل الأحجار لم تستطع أن تمنع نفسها من الالتفات ناحية "كيرك" الذي كان ينظر في المنظار المكبر ناحية الأفق ، بحثاً عن وحيد القرن الذي يحلم به .

ظلت واقفة في مكانها ، وهي عاجزة عن تحويل نظرها عنه .. ياله من إحساس غريب !

في الحقيقة كان من الواجب عليها أن تعترف بذلك الإحساس : فمن بين كل الرجال الذين عرفتهم ، كان هو الرجل الوحيد الذي تحس معه بانسجام ، لقد كان هوأيضا بوهيمياً ، إنه لم يكن يستقر في مكان واحد . وكان من المستحيل تصوره مع امرأة ربة بيت . إنه يحتاج إلى رفيقة رحلات فقط .

اختلقت من عذاب أفكارها ، فهزت رأسها بعنف ، كأنها تطرد تلك الأفكار الغبية التي ازدحمت داخلها . ماذا حدث لها إذن ؟

إنها لو استمرت على هذا المنوال لبعد بها الخيال ولتصورت أنه يطلب يدها للزواج تحت ضوء القمر ، وشيئا فشيئاً لم تعد تلك السكرتيرة التي تعمل بوكالة " هافرشام " .

قالت في نفسها :

" ومع ذلك فإن أقدامك ثابتة على الأرض ، وتتساطين عن التأثير الذي يقع عليك من هذه الأرض البرية الموحشة ، ويجب أن يتوقف . إن وقوعك في حب " كيرك " أمر غير وارد إطلاقا منذ بلغت سن الرابعة عشرة " .

وأسرعت ناحية السيارة . ولكن ما إن فتحت الباب حتى تراجعت ، فقد خنقتها الحرارة الرهيبة التي بداخل السيارة ، وكان من المستحيل أن تجلس داخلها . رأت عندئذ شجرة كبيرة تنشر ظلالها الوارفة على شاطئ النهر . كم كان منظرها مغرياً . ولكنها تذكرت تحذيرات " كيرك" فأخذت تراقب المنطقة المجاورة بحذر ، ولكنها لم تشاهد أي أثر للحياة . وعلى أية حال فإن الشجرة تقع على بعد خطوتين من السيارة ، وفي إمكانها الجري بسرعة في حالة وقوع خطر مفاجئ . اقتنعت بمنطقها وألقت بنفسها أسفل الشجرة وأخذت تراقب المياه الموحلة ، التي تجري ببطء . وسرعان ما ثقلت عليها هذه التأملات

الساهمة وكان من المستحيل في حالتها العصبية هذه أن تظل بلا حركة أكثر من دقائق قليلة . فنهضت وبدأت تقطع المسافة بينها وبين الشاطئ كي تتخلص من التوتر الذي أصابها .

ولم يكن يقطع الصمت سوى خرير المياه في النهر ، ولكن بعد عدة دقائق ؛ سمعت بوضوح أصوات ضجة خفيفة ومريبة آتية من بين الأشجار الكثيفة عن يسارها، كانت عبارة عن همهمات ومواء غريب ، جعلتها تشعر بالحيرة . أخذت تدور حول الأكمة فرأت خلفها تماما جحرا قديما محاطا بالعشب . تملكها الفضول فتخلت عن حيطتها تماما وفكرت في أن هذه الجحور الصغيرة لايمكن أن تشغلها سوى مخلوقات صغيرة لاخطر منها .

أبعدت العشب فرأت أمامها منظراً جعلها تصرخ من الدهشة والإعجاب :

– أوه كم أنت صغير !! ولكن ماذا تفعل هنا بمفردك ؟

رأت عند قدميها كومة صغيرة من الفرو ملقاة على ظهرها ، تحرك مخالبها الكبيرة في الهواء وكأنها تدعوها للعب معها ، كان جلدها ذهبيا ناعما وخفيفا بينما ارتفعت الأذنان وانفتح الفك كاشفا عن أسنان بيضاء صغيرة ، وكأنها تبتسم لها .

كان شبلاً صغيراً لايزيد حجمه على حجم القط الأليف ، استعدت للانحناء كي تداعب بطنه الصغير، عندما خطرت لها فكرة مفاجئة سمعت صوتا داخلياً يهتف بها : يا " كاري " ! إذا وُجد أسد صغير في مكان ما فلابد أن يوجد أسد كبير أيضا فاهربي بسرعة قبل فوات الوقت .

وجف حلقها ، وتعثرت وهي تتقهقر . وهنالك خلف كل شجرة ، وكل أكمة تخيلت أنها ترى خيالاً ضخماً أسود لأسد له مخالب حادة على استعداد للقفز عليها، نزل العرق غزيراً على ظهرها ، وأحست بأن ساقيها تتخليان عنها .

ولكنها شجعت نفسها قائلة : " لم يبق سوى خطوة واحدة يا " كاري " وخطوة وخطوة . ثم إن هناك بضعة أمتار وتنقذين نفسك " . استعدت للجري حتى الـ " لاندروفر " لكن فجأة تجمد الدم في عروقها ، إذ وجدت هناك على عتبة الأعشاب التي تقود إلى الجحر جسماً خرافياً يتقدم مع أشعة الشمس ، ثم يتسمر في مكانه ، بينما ركز نظرة متوحشة على " كاري " ، كان ذلك الجسم



هو جسم اللبؤة !

أخذت اللبؤة تتنفس بهدوء . وقد كشفت عن أنيابها الطويلة الحادة ، داخل فكين قويين يبدوان بين لحظة وأخرى وكأنهما سينطبقان على لحم " كاري " .

أصاب الرعب الفتاة الصغيرة . كان مثل الكابوس ولكنه حقيقي : لبؤة تواجهها وجها لوجه على بعد أمتار ، وعلى استعداد للقفز عليها ، لم تستطع " كاري " أن تصرخ أو تتحرك وتسمرت في مكانها وهي تنتظر الموت .

سمعت عن بعد – أو توهمت ذلك – أحداً ينادي عليها ، كان بالنسبة لها صدى صوت مألوف يتردد داخلها . ولكنها لم تعره أي انتباه لأنها كانت كالمنومة مغناطيسيا أمام نظرة اللبؤة الرهيبة المركزة عليها ، والصوت المتوحش الذي كانت تصدره .

تردد اسمها مرة ثانية ، ولكن بشكل ملح . تصورت للحظة أنها تعرفت على الصوت ، ولكن عندما تقدمت اللبؤة خطوة إلى الأمام أحست أن ساعتها الأخيرة قد دنت .

– " كاري " .. " كاري " . كل شيء على مايرام . لا تفقدي شجاعتك ، افعلي بالضبط ما أطلبه منك ... إنني سأجذب انتباه اللبؤة ، ويكفي أن تتراجعي بهدوء شديد .

" كيرك " ، نعم إنه صوت " كيرك " ، ولكنه لن يستطيع أن ينقذها ، لقد استعدت اللبؤة للهجوم ، وستقفز عليها بين لحظة وأخرى ، وتأتي نهايتها .

– تراجعي يا " كاري " !

حاولت " كاري " التراجع . ولكن ذلك كان مستحيلاً، لقد تسمرت قدماها من شدة الخوف ولا تستطيع الحركة .

– لا أستطيع .

– تراجعي بحق السماء .. فإنني لا أريد أن أضطر إلى قتل هذه اللبؤة ، بسبب أنك لاتستطيعين تحريك قدم بجوار الأخرى .

نجحت – بمجهود خارق – في أن تتحرك وتتراجع بضع سنتيمترات .

– هذا حسن .. استمري يا " كاري " وتراجعي .. هذا حسن .. تراجعي أكثر وستصبحين بعيداً عن متناولها .

كان صوت "كيرك" هو الخيط الوحيد الذي يربطها بالحياة . خطت خطوة مهتزة ، وتعثرت وكادت تسقط . وأحست بأن قلبها قد توقف عندما سمعت زمجرة اللبؤة التي كشفت عن أنيابها بطريقة مرعبة . حاول "كيرك" تهدئتها .

– لقد أوشكت يا "كاري" وأنا خلفك تماما . وهذه اللبؤة لاتكن لك حقداً ، كل ماتريده هو صغيرها ؛ وأنت تسدين أمامها الطريق .ستصبحين في أمان فاستمري في التراجع يا "كاري" . لن يحدث لك شيء أعدك بذلك .

ابتعدت عن اللبؤة خطوة فخطوة ولكن اللبؤة استمرت في الزمجرة بغضب وثورة، ثم أحست ذراعاً قوية تمسك بها من وسطها ، وبحرارة الرجل المطمئنة التي تنبعث من صدره وهو ملتصق بظهرها . همس "كيرك" في أذنها :

– لاتتحركي ولا تحدثي أية ضوضاء .

كان ذلك الأمر سهلاً ، فلم يعد لديها القوة لكي تتحرك أو تتكلم ، تركت نفسها على صدره دون مقاومة ، ونظرها مركز على فتحة الغابة .

استأنفت اللبؤة تقدمها ، ولكن في اتجاه آخر . توجهت إلى الجحر وأمسكت بالشبل برقة بين فكيها ، واختفت بسرعة في أعشاب السافانا .

ظلت "كاري" ملتصقة بـ "كيرك" الذي سمعته ، وهو يطلق زفرة خلاص . قال لها بصوت شبه مرح :

– حسنا . ها قد انتهينا . لقد حملت صغيرها إلى مكان آمن حيث لا يجرؤ الإنسان أن يتجه إليه . هيا بنا نعد إلى السيارة.

قالت بصوت واهن :

– أعتقد أنه سيغمى علي !

– ولكن لا ... ولكن لا .. لاضرورة لمناظر السينما من فضلك .

– يالك من إنسان بلاقلب . لقد كنت على وشك أن تلتهمني اللبؤة ، أليس من حقي أن أفقد الوعي ؟

ما إن نطقت هذه العبارات حتى وجدت نفسها جالسة بعد أن خانتها ساقاها كانت الدموع تنساب غزيرة فوق خديها ، وكانت كل أعضائها ترتعد . ولكن يالغرابة ! بدلا من أن يهزأ "كيرك" من ضعفها ، ويبدي ضيقه منها جلس بجوارها ، وأحاطها بذراعيه ، فألقت بنفسها في أحضانه ، وهي سعيدة وآمنة



وسط قوته الخانقة . قالت له وهي تشهق :

– أليس لديك منديل ؟

أخرج منديلا من جيبه ، وأخذ يمسح وجه الشابة بحركات رقيقة . ابتسمت "كاري" من خلال دموعها . إنه أمر لا يصدق ! ها هي ذي حيث ملايين النساء يحلمن بذلك ؛ بين ذراعي "كيرك ألاندر"، نعم .. بعينيها الحمراوين ، ووجهها المنتفخ ، وشعرها المبعثر .

لم تكن أبداً تلك المرافقة المثالية . يالسخرية القدر !

نظرت إليه وهي ساهمة وقد ذاب قلبها .

– هذا هو أغبى شيء كان بإمكاني فعله .

– نعم دون شك . لقد كان من الجنون أن تقتربي من الشبل . إن اللبؤة تكون موجودة دائما في الأحراش حوله ، ولا يوجد حيوان أكثر خطورة من الأنثى وهي تحمي صغارها .

– لماذا أنت لطيف جداً معي ؟ لقد فكرت أنك ستطردني وتسبني .

– ولماذا ؟ لن تنسي أبدا ماحدث اليوم . ولن تحل لعنات العالم كله محل ماحدث لك من تجربة .وفي المستقبل ستفكرين مرتين قبل أن تقدمي على عمل أي شيء. قالت وهي ترتعد :

– ستصيبني الكوابيس عن تلك التجربة طوال حياتي .

– وأنا كذلك .

نظرت إليه في دهشة :

– ولماذا أنت ؟

– ماذا تظنين ؟ لأنني أحس بأنني مذنب وهو أمر طبيعي . لم يكن من الواجب علي أن أتركك بمفردك ، ولم أكن لأفعل ذلك لولا ..

وتوقف فجأة فسألته في فضول :

– لولا ماذا ؟

– لنقل فقط : إنني لم أكن أريدك بين مخالبي ، ولكن بعد عشر دقائق قلت لنفسي :

لم يكن من الواجب أبداً أن أتركك تختفين ، ولذلك ذهبت للبحث عنك .

- ياإله السماوات !

أحست " كاري " في تلك اللحظة بأن حرارة حلوة بدأت تغزوها ، وتطارد آخر آثار الخوف فيها . كان " كيرك " لا يزال ممسكاً بها بين ذراعيه ، وكانت تحس كأن ضربات قلبه تنتقل إلى جسدها وتخترقه ، أخذت الأمواج الحارة تسري في جلدها . فأصبحت فجأة محمومة ، أحست بأن كل شيء يدور حولها . فهل كانت على وشك الإغماء ؟ هل أثرت تلك الشمس الرهيبة على عقلها ؟ نظرت إلى رفيقها بحركة لا إرادية .

وأخذت تدلك صدره بطريقة آلية . أخذ يهمس بكلمات غير مفهومة وضغطها بقوة إلى صدره.

- أحس أنني ساذجة للغاية .

- هذا عكس الحقيقة .

- ولكني أريد ...

وتوقفت فجأة ، وهي تخشى أن تخرج كلمات غير مقصودة من فمها . كانت الأنفاس التي تحسها فوق رقبتها تجعلها تفقد سيطرتها على نفسها .

- ماذا تريدين ؟ أن أقبلك ؟

قفزت " كاري " واعترضت على قوله :

- بالتأكيد لا .

كان في الحقيقة قد قرأ رغبتها المحمومة التي لم تجرؤ على النطق بها .

- هذا أمر مؤكد . وهو رد الفعل الغريزي لجسدك بعد انتهاء الخطر .إنه يريد الاحتفال بأنك مازلت على قيد الحياة .وليس في الحياة لحن أجمل من ممارسة الحب؟

- ولكني لا ... لا أريد ممارسة الحب .

تظاهر " كيرك " بأنه لم يسمع اعتراضها ، وأخذ يداعبها ، ولكنها ظلت متصلبة ،وأنفاسها لاهثة .

أخذ يهمس :

- إن لغة الجسد دائما تسحرني . وجسدك جيد الاتصال في هذا الشأن معي يا " كاري ".



وأصابتها الشهوة بحالة من الجنون ، فتصلب جسدها في حركة دفاع وسألته :

- وكيف يتصل إذن ؟

فأجاب :

- هل تريدين حقا أن أريك كيف يتم الاتصال ؟

أجابته ببرود :

- هيا ابتعد . إنني أريد أن أعرف كيف تستشف مالايوجد إلا في مخيلتك ؟

-آه نعم .. ربما أكون قد تخيلت حرارة جسدك وخديك المتوردين وعينيك اللامعتين .

فقاطعته قبل أن يدخل في تفاصيل أكثر خصوصية . نظرت إلى ساعتها وصاحت:

- أرأيت كيف تأخر بنا الوقت ؟ إننا أوشكنا أن نصل إلى وقت تناول الشاي ويجب العودة .

- أيتها الجبانة الصغيرة .

تظاهرت " كاري " بأنها لم تسمع شيئاً ، فأفلتت من بين ذراعيه وأسرعت ناحية السيارة ، وعندما لحق بها كانت جالسة وهي ملتصقة بالباب ، وما إن عادا إلى الكوخ ، حتى أحست أنها لا تريد أن تبقى بمفردها مع هذا الرجل .

لقد فهمت لماذا كان يخيفها ؟ إن له سيطرة تامة عليها ، وهي تحس بأنه يتملكها ويتملك جسدها بقوة غريبة ، وفي هذه الحالة كيف تستطيع أن تتحمل أسبوعين دون أن تخالف الشعار المقدس لوكالة " هافرشام " ؟

لم يكن هناك سوى حل واحد : الانتهاء بأسرع مايمكن من الكتاب والعودة بسرعة إلى إنجلترا . ولكي تكون مسافة خمسة آلاف كيلو متر هي التي ستفصل بينهما وهي حزام الأمان الوحيد بالنسبة لها . ولكن هل يكفي هذا ؟ طالما بقي " كيرك ألاندر " في هذا العالم ، هل يمكن أن توجد لكلمة " أمان " معنى عندها ؟ ونامت " كاري " تلك الليلة نوما قليلاً .

* * *

# الفصل الرابع

في صباح اليوم التالي استيقظت " كاري " ومزاجها معتل بعد أن قضت ليلة دون أحلام . ولكن على الأقل أصبح الوضع أكثر وضوحاً . لقد ذهبت كل الأفكار المجنونة عن " كيرك " أثناء الليل ، ولم يبق سوى وظيفتها كمرافقة وسكرتيرة .

كان من الواضح أن وهمها في الليلة الماضية هو نتيجة لقائها مع اللبؤة ، فبعد تجربة كهذه من ذا الذي لايفقد توازنه ؟ عاد كل شيء إلى طبيعته ، وإن كانت أعصابها لا تزال متأثرة بهذه التجربة القاسية .

عندما انضم إليها " كيرك " و " سيمون " لتناول الفطور أسعدها أن ترى ما أحسته يتأكد .جعلها حضور " كيرك " تتحول إلى تمثال رخامي .أما بالنسبة له، فقد بدا تماما أنه لا يعير وجودها أي اهتمام . وبعد أن تناول طعامه نهض بسرعة :

– أمامك الكثير من العمل هذا الصباح .

– نعم .. فعلاً .

– حسنا . من المحتمل ألا أعود قبل المساء .

بعد هذه الكلمات رحل من قاعة الطعام وبعد عدة ثوان انطلقت " اللاندروفر " كالصاروخ ، نظر " سيمون " إليها نظرة فضول وقال :

– ألاحظ بعضاً من التوتر بينكما ؟ فهل هذا صحيح أم أنني مخطئ ؟

أصلحت " كاري " صوتها :

– لقد ارتكبت حماقة بالأمس . وأفضل ألا أتحدث عنها .

– حسنا . هل لديك عمل كثير اليوم ؟

– نعم . ولماذا ؟

– إنني أتساءل عما إذا كان بإمكانك اليوم مصاحبة مصور مسكين وحيد وهو يبحث عن الزرزور الأخضر ذي الرأس الرمادي .



رغم أن الدعوة كانت مغرية إلا أنها رفضتها .

– يجب أن أتقدم في عملي الذي لا أرى له نهاية . فكلما انتهيت من فصل يأخذه " كيرك " كي يقرأه ويعيده لي في اليوم التالي وهو مليء بالتصحيحات .

– إن " كيرك " يحب الكمال ، وقد رأيته يلقي مئات الأمتار من الأفلام بسبب خطأ صغير لا يمكن أن يلاحظه أحد ، وعيبه أنه عبقري ، وجميع العباقرة لهم شطحاتهم . أما بالنسبة لـ " كيرك " فهو مغرم بالدقة والتفاصيل . إنه يعرف تماما كيف يجب أن ينتهي فيلمه ، أو كتابه ، وهو قادر على قلب الدنيا رأسا على عقب للوصول إلى هدفه .

– وهل يتصرف بنفس الطريقة في حياته الخاصة ؟

لم يفهم " سيمون " ماوراء هذه الملاحظة من مكر وأجاب بكل جدّية :

– نعم . إنه يقسم وقته مابين العمل واللهو قسمة عادلة ، ولا يخلط بينهما أبداً .

وعلاقاته الشخصية سرية للغاية . وقد أعلن صراحة للمرة الأولى والأخيرة أن نظام حياته يستبعد تماما أية علاقة دائمة .

رفعت " كاري " رأسها وتأملته :

– هل هذا تحذير يا " سيمون " ؟

بدا عليه عدم الاكتراث :

– إنني أحبك كثيرا يا " كاري " ، ولا أحب أن يحدث لك مكروه . لقد اعتقدت الكثيرات من النساء أن بمقدورهن تغيير نمط حياته فلم تفلح أية واحدة منهن في ذلك ، ولن تستطيع أي منهن ذلك في المستقبل . إذا كنت تبحثين عن مغامرة قصيرة فـ " كيرك " هو الرجل المناسب . ولكني أعتقد أنه ليس من طبيعتك أن تستسلمي لحياة الإباحية دون أن تعاني كثيرا .

وعلى الرغم من شدة اضطرابها الذي تملكها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها ، إلا أنها أجابت بهدوء :

– إنك تخرف اليوم يا " سيمون " ولكن لا تنس أمراً : إنني قادمة من وكالة " هافرشام " وفي تلك الوكالة محظور علينا إقامة علاقات مع الزبائن ، وهذه

هي القاعدة الذهبية . لا علاقة جادة ، ولا عابرة . وأنت تفترض مشكلة وهمية . والآن أرجوك أن تعذرني فلدي الكثير من الواجب علي أن أعمله .

لجأت إلى مكتبها الصغير ، حيث انهمكت في الكتابة على الآلة الكاتبة . أي نوع من البعوض لسع " سيمون " ؟

إنها ليست في حاجة إلى من يحذرها من " كيرك " . ما الذي دعاه لأن يظن أنها تتعرض للخطر ؟

عملت دون توقف طوال النهار ، بيد أنها توقفت فترة قصيرة كي تتناول غداءها وقد استطاعت أن تنهي عملها بحلول فترة مابعد الظهر .

عندما استعدت لتناول قدح من الشاي ، فتح الباب ودخل " كيرك " بخطوة جادة .

ألقى بنفسه في المقعد ذي المساند ، دون أن ينطق بكلمة ، وقد أصبح وجهه قاتما ، وشفتاه مضمومتين ، في كل مرة تجد نفسها وجها لوجه معه لا تستطيع أن تتمالك نفسها . فإن حضور الرجل الجسدي يسبب لها الاضطراب . كان كعادته قد ترك فتحة صدر قميصه مفتوحة ، ظهر منها صدره البرونزي . وتحت بنطلونه الرقيق ظهرت ساقاه الطويلتان ذواتا العضلات البارزة . كان شعره الأسمر مبعثرا ، وأظهر عظام وجهه القوية البارزة .

لم يكن هناك أي تشابه بينه وبين الصورة المنمقة الجميلة التي كان يظهر بها على شاشة التليفزيون .

ومما كان يثير الانتباه في صورته الحقيقية تلك التفاصيل الدقيقة التي لم تكن تظهر على الشاشة مثل نبض العروق في رقبته ، والرائحة المثيرة التي تشع رجولة من جسده ، والنظرة التي كانت تلمع بها عيناه السوداوان .

سألته بخجل :

– ماذا جرى ؟

– لقد اختفى أحد الجراء .

ظلت لحظة لا تفهم ماذا يعني . ثم تذكرت الكلاب الوحشية وجراءها الخمسة التي رأتها تلعب على حافة جحرها .



– هل أنت متأكد ؟

– نعم بالتأكيد ، لقد قضيت النهار كله أراقبها ، وأنا متأكد تماما أنه لم يبق سوى أربعة .

– قد يكون ضل الطريق ؟

صوب إليها " كيرك " نظرة قاسية :

– لاتقولي أي شيء بلا معنى . لقد مات ، وكان من حسن الحظ أن واحدا فقط هو الذي قُتل ، إذ غالبا ماتختفي كل مجموعة الجراء مرة واحدة قبل أن تكبر أو حتى قبل أن تبلغ سن الشهر .

– ولكن هذا أمر رهيب . ماهذه المذبحة . يجب اتخاذ قرار .

نهض وهزها بعنف من كتفيها .

– لا تتصرفي كالأطفال يا " كاري " . نحن لسنا في حديقة حيوان صغيرة ، وبها حراس تهتم بالحيوانات ليل نهار .

أشار إلى السهل الذي امتد إلى مالا نهاية .

هناك ... توجد الغابة . ويوجد الصيادون والأدلاء ، والحيوانات التي تتغذى على الحيوانات الأخرى ، وإذا لم نعثر على شيء فلنعد إلى إنجلترا حيث توجد الحيوانات البرية في الأقفاص فقط ، ويقدم لها الطعام مرتين في اليوم في أطباق . أما هنا فالحيوانات – على الأقل – حُرة . ولا يغلق عليها داخل أقفاص حديدية لكي تعرض أمام أنظار الإنسان .

تركها فجأة وقد التمعت عيناه مثل عيني اللبؤة التي التقت بها الليلة الماضية من المؤكد أن الغابة ليست مجرد مظهر خارجي ، في كل مرة تطأ قدماه منطقة السافانا كان يعود وقد انطبع عليه أثر المكان بكل وحشية الغابة .

– ثم كيف يمكنك أن تفهمي ؟ لايوجد أي شيء مشترك بين عالمك وعالمي ، وهكذا يستطيع كل منا أن يعيش على الأرض التي تناسبه .

خرج وهو يصفق الباب ، دون أن يتيح لها فرصة الرد . أحست بالإرهاق ، كأنها مرت بإعصار ، انهارت فوق المقعد وأخذت تنظر عبر النافذة بنظرة ساهمة .

كم هي ساذجة ؟ لقد حضر للقائها كي تشاركه ألمه ، وبدلا من أن تسري عنه بذكاء ، استطاعت أن تثيره بتصرفها الطفولي ، يجب ألا يظل على سوء فهمه لها ، وستجري كي تلحق به . ولكن ماذا ستفعل ؟ يجب أن تواجه الحقيقة : ليس لديها وسائل التسرية عنه وتخفيف أحزانه .ولكن ماذا تنتظر إذن ؟ قالت في نفسها :إنه يجب عليها أن تعمل كي تساعده في الانتهاء من كتابه . بعدها لن تقلق على شيء بعد أن تودعه !

استعدت للكتابة على الآلة الكاتبة ، عندما لاحظت حافظة نقود صغيرة فوق الأرض .التقطتها بطريقة آلية . هل كانت ملكا لـ " كيرك " ؟

بالتأكيد يمكن أن تكون ملكا لـ " سيمون " أو " فيرجاس " .لقد دخل الاثنان حجرتها في الأيام الماضية .

ترددت بعض الوقت ، ثم قررت فتحها وهي تأمل أن تجد مايدل على صاحبها ، كانت تضم قليلا من المال ، وبطاقتي ائتمان وصورة صغيرة لفتاة جميلة للغاية، لها شعر أشقر طويل . أخرجت " كاري " الصورة من مكانها وأخذت تتأملها طويلا . كانت غير مستوية الحواف وكأنها تعرضت للاستخدام مدة طويلة . من الواضح أنها كنز نفيس يحافظ عليه . بعد أن أعادت الصورة إلى مكانها في الحافظة ، استعدت لأن تذهب للبحث عن " كيرك " كي تسأله إن كانت الحافظة تخصه ، عندما مدّ " سيمون " رأسه في فتحة الباب :

– صباح الخير ، طاب يومك أيتها الآنسة الجميلة . هل يمكنك أن تتناولي القهوة معي ؟

– لا . شكرا!

مدت له حافظة النقود وهي تقول :

– لقد عثرت عليها الآن . هل هي ملكك ؟

هز رأسه نفيا !

– لا . أعتقد أنها تخص " كيرك " ، هل هناك بطاقة شخصية داخلها ؟

– يوجد صورة . لم أرد أن أكون متلصصة . لقد عثرت عليها ، ولا أرغب في معرفة صاحبها .



– كان من الواجب عليك أن تطلعي على بطاقات الائتمان : أترين ؟

" ك . ألاندر " ، هذه الحافظة تخص " كيرك ألاندر " .

احمر وجهها خفيفا :

– لم أفكر في ذلك .

– أتصور أن الصورة أكثر أهمية من بطاقات الائتمان .

اعترضت بعنف :

– لم أفتش الحافظة ؟

– نعم بالتأكيد ولكنك أثرت فضولي بالفعل ، ياترى من تكون هذه الفتاة الغامضة التي يحتفظ " كيرك " بصورتها في حافظة نقوده ؟

بدأ يفتش في الحافظة وصفر بفمه صفيرا ممطوطا عندما عثر على الصورة وقال :

– حسنا من يصدق هذا ؟ لقد اعتقدت أن تلك القصة قد دفنت تماما ، منذ وقت طويل .

فسألته بصوت مرتعش :

– من هي ؟

– إنها " استيل " زوجته .

– زوجته ؟ لم أكن أعرف أنه متزوج .

– إنني أعني زوجته السابقة . لقد تم طلاقهما منذ عدة سنوات . وقد تم ذلك دون مشاكل وبرضائهما . لقد التقت " استيل " برجل آخر ، وقبل " كيرك " في الحال طلاقها ، ولا أعتقد أنه أعار الأمر اهتماما . ولكن يبدو أن ذلك لم يكن حقيقيا ، فالمرء لا يحتفظ بصورة مطلقته سنوات عدة إلا إذا كان لايزال يكن لها عاطفة شديدة .

فكرت " كاري " أنها تعرف أخلاق " كير ك" وأنه لايمكن أن يهتم ببقايا عاطفة . وهو ليس من نوع الرجال الذين يقبلون أنصاف الحلول . لابد أن تكون هذه المرأة هي حبه الكبير .ثم ماذا بعد ؟ وماذا يمكن أن يفعل ذلك لها ؟

إن عواطف السيد " ألاندر " لا تهمها ولا تخصها في شيء . جلست مرة ثانية

واستعادت الحافظة ، وقالت :

– من الأفضل أن نعيدها إلى " كيرك " ، لابد أنه قلق ، وظن أنه فقدها .

توجهت بخطوة ثابتة نحو حجرة " كيرك " وطرقت الباب .

– من بالباب ؟

– أنا " كاري " . لقد عثرت على حافظة نقودك .

– ادخلي .

بعد خطوات ثلاث توقفت في مكانها ، كان " كيرك " ممددا على السرير لفترة راحة قصيرة دون شك ، كان واضحا أنه أخذ حماما ؛ لأنه كان يلبس زي حمام فوق جسده العاري . احمر وجه الفتاة ، وأشاحت بوجهها .

– لا تخافي فإن حياتك لن يتعرض للخطر على الأقل إذا لم أقم بحركة فجائية. جلس على حافة السرير وهو يحاول تغطية نفسه بينما ظهرت على فمه ابتسامة ماكرة . حاولت أن تتجنب النظر إليه حيث كان يجب عليها أن تغادر الحجرة . قال لها :

– إذا أحسست بالخجل يا " كاري " فإنما مرجع ذلك إلى ما تتخيلينه وليس ماترينه بالفعل ؟

إن هذا الرجل عديم الرحمة .. قال بلهجة ساخرة :

الأفضل أن توضحي سبب حضورك قبل أن يشتعل خداك من حرارة الخجل.

– لقد أخبرتك : إنني أحضرت لك حافظة نقودك . وقد رأيت أن من الأفضل أن أحضرها لك في الحال ، حتى لا تظن أنك فقدتها .

نظر في عينيها مباشرة .

– ماالذي أفعله ببطاقات الائتمان في هذا الجحر من العالم في اعتقادك ؟ ياإلهي ! إن من يسمعه يظن أنها اختلقت هذا العذر كي تدخل حجرته . هزت كتفيها في ضيق :

– حسنا ! لقد خانني ذكائي ، ويبدو أنك لن تهتم بما يمكن أن يحدث لحافظتك، وفي المرة القادمة التي أعثر فيها على شيء يخصك سألقي به في الخزانة ، ولا أفكر فيه بعد ذلك .



ابتسم ابتسامة ساحرة وقال :

– إنني فعلا جاحد للجميل – أليس كذلك ؟ لقد تحملت مشقة إحضار حافظة نقودي ، وأنا لم أشكرك ، لماذا تظلين مع هذا الشيطان يا " كاري " ؟ ولماذا تتحملين أخلاقي السافلة وسلوكي الملتوي ؟

– لم يبق إلا هذا ، حتى تضطر إحدى فتيات وكالة " هافرشام " إلى التخلي عن وظيفتها .

– إذن هناك من هو أقسى مني ؟

– إنك لست وديعا كالحمل ، ولكن لا تشغل بالك . فأنا بإمكاني التغلب على ذلك. – لا شك عندي في ذلك . إنك تبدين رقيقة ، ولكني تعلمت ألا أثق في تعفف الظاهر . فأنت صلبة كالصخر ياعزيزتي !

أجابت بلهجة لاذعة :

– شكرا جزيلا . أتقول صخرة ؟ ألا تفكر في شيء أكثر أنوثة ؟

– صدقيني .. إن ما أقوله هو مجاملة . لا تنظري إلى جسدك لأن المقارنة هنا ستكون ظالمة .

تحولت المحادثة إلى أمور شخصية ، ولم تعرف " كاري " أي مسلك تتخذه . ثم إنه من المستحيل أن تنظر في عينيه مادام غير مكتمل الزي . قالت وهي تتجه نحو الباب :

– من الأفضل أن أذهب .

– هل أثقلت عليك كثيرا فترة مابعد الظهر هذه ؟ يبدو أن مزاجي معتل .

انبسط وجه " كاري " .

– هذا ليس بالغريب . بعد موت الجرو .

هز كتفيه .

– يجب أن أتعود على ذلك الآن ، ولكني لم أتمكن من ذلك . كل مرة يقتل فيها حيوان أو يجرح أشعر بنفس الألم . حسنا إنه ليس إلا جروا صغيرا ، ولكني راقبته منذ وقت ولادته ، ورأيته وهو يخطو خطواته الأولى وكذلك وهو يلعب مع رفاقه ، والآن رأيته وهو ميت ، وقد محي من على وجه الأرض وكأنه لم يولد

أصلا .

كانت ملامحه مشدودة ، وكأنه يحس أنه المسؤول عن موت الجرو . تأثرت "كاري" بهذا التعبير الصادق المليء بالشفقة ، فتقدمت خطوة نحوه ، ولكنها توقفت في مكانها . ماالذي ستفعله ؟ هل تقدم له كتفها ليستند عليها ؟ لم يطلب منها شيئا . إنه ليس في حاجة إليها هي بالذات .

رفع رأسه وكأنه يثبت لها أنها على حق :

- أعتقد أننا نحن الاثنين في حاجة إلى ترفيه . سأخرج هذا المساء . فهل ترغبين في مرافقتي ؟

أجابت وهي تحلم بأنها ستذهب إلى السينما أو المسرح . ولكن سرعان ما عادت إلى وعيها . لم يكن هناك أي أثر للحضارة على بعد مئات الكيلو مترات حولهما . إذن ماذا يعني بكلمة " الخروج " ؟ قال لها :

- سأذهب للتجوال مع الكلاب البرية . إذا رغبت في الذهاب معي ، فكوني مستعدة إذن عند غروب الشمس . سأنام الآن لمدة ساعة ، وإذا أردت البقاء فلا تصدري أية ضجة .

- سأرحل .

بدا أنه لا يسمعها . كانت عيناه مؤرقتين وعاد إلى النوم ، دون أن يهتم بما يحيط به . كم هو مستسلم للنوم ! لم تستطع "كاري" أن تمنع نفسها من الشعور بالإثارة . فجأة وانتها فكرة : تولدت لديها رغبة ملحة في أن تبقى في الحجرة دون حركة ، وأن تتأمل هذا الجسد الرجولي الضخم . ومع ذلك خرجت من الغرفة وهي آسفة . إن مكانها ليس فيها .

لو كان عندها شيء من الحكمة لرفضت دعوته دون تردد . لم يكن من الضروري أن تخاطر بالخروج في الليالي الأفريقية مع رجل مثل "كيرك ألاندر" ولكن لماذا تنتظره أمام البيت ؟

اللعنة ! لا داعي للأسئلة ، وهذه الليلة المقمرة كان فيها الجو معطرا .

وأحست "كاري" بأن رأسها يدور كما لو أنها تناولت شيئا مخدرا . تصاعدت داخلها غريزة الحذر في نفس الوقت ، كان لديها نفس الإحساس الذي كانت



تحسه وهي في الرابعة عشرة من عمرها وهي تذهب لأول موعد غرامي لها .

جاء صوت "كيرك" في أذنها مما جعلها تقفز :

- هل أنت مستعدة ؟

قالت له بلهجة هجومية :

- وهل هكذا تفاجئ الناس ؟

- عندما نقوم بتصوير الحيوانات لا نصدر أية ضجة ، عندما نقترب منها . وأعتقد أن ذلك أيضا ينطبق على الإنسان . هيا إذن فقد حان وقت الرحيل .

كان الوقت مناسباً لـ "كاري" كي ترفض هذه الدعوة الخطيرة ، ولكن ساقيها كانتا قد تحركتا رغما عنها ، وبعد لحظات كانت قد استسلمت لقدرها وهي تهز كتفيها بلا اكتراث .

ماإن أصبحت في السيارة حتى التفت "كيرك" إليها .

- إن الأرض متموجة فاربطي حزام الأمان ، وثبتي نفسك ، وإلا أحسست بالألم الشديد .

سار دون أن يضيء الأنوار . كان سهلا أن يسبح في ضوء القمر بلونه الفضي .

كان لغرابته يمسح كل المتاعب ، تساءلت "كاري" : كيف يقود "كيرك" السيارة دون أنوار ، ولم يصطدم بأي شيء ؟ وظنت أن ملاكا هو الذي يقوده ويرشده .

- ماذا تعني بالضبط بقولك " تذهب للمطاردة " ؟

- الكلاب البرية دائما تذهب للصيد في الليل وهي تقطع مئات الكيلو مترات بسرعة رهيبة ، ومنظر جسدها وهي تخترق السهول منظر خرافي .

- وهل هذا ماستفعله . نقف السيارة ونراقبها وهي ترحل لتصطاد ؟

أضاء شعاع من ضوء القمر وجه "كيرك" فأظهر تقاطيع وجهه التي بدت وكأنها قدت بسكين .

- إطلاقا ! بل سنصاحبها .

قفزت "كاري" من مكانها :

– هل سنصاحبها بالسيارة " اللاندروفر " ؟

– بالضبط . من المؤكد أننا سنتعب إذا ما تبعناها حتى النهاية ولكننا سنحاول. – لاشك أنك جننت تماما .لايمكن أن نجري فوق هذه الأرض بهذه السرعة دون أن نتعرض للموت . بحق السماء أرجوك أن تضيء الكشافات لأننا دونها لن نرى على بعد متر واحد .

– لابد من إطفاء الكشافات بوجه خاص . لأنها تبعد الكلاب . وأرجوك أن تكفي عن التعلق بذراعي فإنك تمنعينني من القيادة .

تركته " كاري " فجأة والتصقت بالباب .

– إنني أومن تماما بأنك جننت .

– دون شك . ولكنه جنون عظيم . إن الليالي التي مثل هذه الليلة هي التي تشعر المرء بالحياة حقا .

– سنتكلم عن هذا فيما بعد إذا عدنا سالمين .

لم يعد " كيرك " يستمع إليها . كان يركز نظره على الطريق أمامه .

– ها هي ذي ! إنها فصيلة الشيطان خرجت للصيد .

عندما نظرت " كاري " خلال الزجاج الأمامي للسيارة لاحظت مجموعة من الكلاب تعدو سريعا أمامهما ، وكان خيالها الأسود يظهر على الخلفية الفضية للسماء ، كان عددها عشرة ، همهمت :

– إنه الشيطان الذي يتقدمها .

– إن هذا المسن الملعون يفعل المستحيل كي يظل الأول دائما .

همهمت وهي تلقي عليه نظرة :

– أعرف مجموعة أخرى مثله .

أجابها بابتسامة خفيفة . كان واضحا أن " كيرك " لم يعد معها ، وإنما مع " الشيطان " الذي كان يعدو في الليل البهيم ، لم تترك عيناها ذلك الخيال وقلبها ينبض بشدة .

أسرعت الفصيلة وزاد " كيرك " من سرعة السيارة ولكن " كاري " لم تعد تحس بتأرجح السيارة ، كانت السيارة تجري وأنوارها مطفأة وتسير بأعجوبة



وراء هذه الأشباح المسرعة .

بعد مدة بدأت بعض الكلاب تجري بجانب بعضها وعندما تطلعت " كاري " إلى الأفق لاحظت جسما أسود . كان جسم غزال يقفز في رشاقة تحت ضوء القمر ، كانت حلبة السباق مفتوحة .

عادت " كاري " إلى الواقع فجأة . اختفت كل أحلامها العاطفية وحل محلها شعور بالرعب عندما أدركت كنه ماستراه . فقدت سيطرتها على نفسها وألقت بنفسها على مرفقيها .

– لا تدعها تفعل ذلك . لابد من منعها أرجوك يا " كيرك " افعل شيئا .

حاولت انتزاع عجلة القيادة من يد " كيرك " الذي حاول أن يحرر نفسه من قبضتها ، ولكن كان الوقت قد فات واضطر للخروج عن الطريق .

كان وقوع الحادث أمرا محتوما .

– " كاري " إنك ستتسببين في قتلنا !

– ولكن انظر إلى هذه الكلاب . إنها ستقتل الغزال .. إنني لاأريد ... لاأريد ...

فجأة دارت " اللاندروفر " حول نفسها في منظر رهيب ، ألقت بهما الصدمة العنيفة إلى الأمام ، وكان من المؤكد موتهما لولا أحزمة الأمان التي منعتهما من الاصطدام بزجاج السيارة الأمامي . توقف المحرك عن العمل ومرر " كيرك " يده على جبهته وزفر زفرة عميقة وقال :

– لدي رغبة ملحة في أن أذبحك جزاء مافعلته .

كان التهديد واضحا في صوته ، الأمر الذي جعل " كاري " ترتعد من رأسها إلى قدميها .

الآن حان الوقت كي تدفع ثمن حماقتها .

* * *

# الفصل الخامس

ظل مدة دقيقتين صامتاً ، واكتفى بالتنفس العميق عدة مرات محاولا أن يهدئ نفسه .

كان صمته هذا أكثر إقلاقا لـ " كاري " من الحديث المطول . وانتهى الأمر به أخيرا إلى الاستدارة نحوها ، وكان من المستحيل تحديد ملامحه في هذا الضوء الخافت ، فلم تر الفتاة سوى اللمعان المعدني لعينيه السوداوين اللتين رأتهما فجأة تحدقان فيها . قال بصوت أدهشها هدوءه ورزانته :

– حسنا . هيا بنا نراجع ما حدث واشرحي لي لماذا أردت أن تودي بحياتنا .

رفعت رأسها .

– إنني لم أطق هذه المطاردة القاتلة .

– ولا أنا كذلك ، ولكن هذا لا دخل له فيما حدث .

نظرت إليه دون أن تفهم مايقصده .

– لقد رأيت تماما مارأيته . كانت هذه الكلاب تطارد الغزالة ولو أمسكت بها لحدث .. لحدث ..

تقطعت كلماتها وهي غير قادرة على الاستمرار .

– لحدث أن قتلتها والتهمتها . هذه ليست مطاردة للتسلية يا " كاري " ، إنها وسيلة حياة الحيوانات . إنها لا تقتل للتسلية ، وإنما تقتل حتى لا تموت جوعاً .

وهكذا تفعل كل الحيوانات البرية . إن الأسود والفهود والذئاب وابن آوى كلها حيوانات مفترسة ، هي وحيوانات أخرى مشابهة . وهذا ليس بالأمر المعقد . إذا لم تقتنص فستموت .

ظلت صامتة .

– لا حظي أن هذه الحيوانات – بصفة عامة – لاتهاجم سوى الحيوانات المسنة أو المريضة ، وهذا يجعل الفصيلة تعيش في صحة جيدة ، وعندما تبدأ المطاردة تتفرق القبيلة على مساحة واسعة ، وهذا يمنع التجمعات التي تضايق الحيوانات، مثلها في ذلك مثل الإنسان ، وعليه فإن الحيوان القادر على الجري



لايمكن اصطياده إلا بعد مطاردته أكثر من مرة . وغزالة الليلة كان أمامها نسبة خمسين في المائة في أن تفلت من المطاردة وتعيش ، وتزيد هذه النسبة لو كانت بصحة جيدة .

عضت " كاري " شفتها وقالت :

– كم تصرفت بحماقة .

– إنها غلطتي . كان من الواجب علي أن أشرح لك ما سيحدث . وكان من الحماقة أن أورطك في تلك المطاردة دون سابق إعداد .

– لا تعتذر . كان من الواجب علي أن أتوقع ذلك .إنك تتحمل الكثير من المتاعب من أجل حماية الحيوانات ومن الواضح أنك لم تكن تصطحبني كي أرى مذبحة حيوانات لمجرد شهوة رؤية الدماء .

– لا بأس في أن ترفضي رؤية حيوان يقتل . ولا تخجلي من التعبير عن أفكارك .

بحث في درج السيارة الأمامي وأخرج كشافا كهربائيا .

– والآن أريد أن ألقي نظرة على المحرك ولنأمل ألا تكون هناك خسائر يتعذر إصلاحها وليست لدي نية أن أعود على قدمي .

– نعود على أقدامنا ؟ كل شيء إلا هذا !

أحست " كاري " فجأة بالرعب يتملكها لفكرة أن تجد نفسها فوق تلك السهول طوال الليل تحت ضوء القمر الخافت ، وسط أصوات ضجة مريبة في أفريقيا . لم ترغب في أن تبقى بمفردها ، فحلت حزام الأمان بحركة عصبية واتجهت إليه. قال لها :

– أمسكي الكشاف وهذا يجعل يديّ حرتين .

استغرق وقتا طويلا وهو يفحص السيارة ، ثم أطلق أخيرا زفرة راحة وفرد جسده وقال :

– لحسن الحظ لايوجد شيء خطير فالمحرك سليم والقواعد فقط هي التي تفككت .

قطب جبينه بعد ذلك ، ثم أمسك بذراعها فجأة .

– ماهذا ؟ هل جرحت ؟

خفضت عينيها وثبتتهما دون أن تهتم بتلك البقعة الكبيرة ، ذات اللون الأحمر الداكن ، التي لوثت كمها .

– لا بد أنني صدمتها . ولكن هذا ليس خطيرا .

دون أن يستمع إليها أخرج من جيبه مدية صغيرة لمع نصلها تحت ضوء القمر الفضي .

كانت تريد أن تتراجع ، ولكنه أمسك بها بحزم ثم مزق القماش بضربة واحدة، أطلقت صرخة. واحتجت ، بينما أخذ يبعد القماش ويضيء الجلد بالكشاف. صرخت وطلبت منه أن يكف .

قال لها بعد أن فحص الجرح بعناية :

– لا يوجد شيء خطير ... مجرد خدوش سطحية وسأعتني بها عند عودتنا .

لم تستطع أن تنزع عينيها عن سلاح المدية التي كان لايزال ممسكا بها . همهمت:

– في البداية بندقية والآن مدية . إنني أحس بأنك شخص خطر يا " كيرك " .

استند على السيارة وأخذ يتأملها بعينين لاتفصحان عن شيء .

– خطر من أية ناحية ؟

– لا أدري .. إنني أقول كلاما لامعنى له ويجب ألا تعيره أية أهمية . لابد أن ذلك بسبب الصدمة .

– هل أخيفك يا " كاري " ؟

– أخاف ؟ لا بالتأكيد . ما معنى هذا ؟ آه فهمت .. ستقول أيضا إن جسدي يتكلم ، وغير ذلك من هذا الكلام .. شكرا جزيلا . ليس لدي مزاج كي أسمع هذه العبارات المعسولة .

– يالالخسارة ! لقد كنت على وشك أن أفك رموز لغة جسدك هذا المساء .

أحست " كاري " وكأنها تلقت صفعة . لقد قالت بالضبط ما يجب ألا تقوله . ثم من المستحيل أن تهرب مما قالته . كان ممسكا بذراعها بقوة .

– لا تتصوري أنني أوقعتك في مصيدة يا " كاري " ، فلم أتنبأ بما سيحدث هذه الليلة ، وقد يكون ذلك بسبب أنني لم أر امرأة منذ أسابيع وأنت حسناء ، والغريب أنك لاتعيرين هذه الحقيقة أي انتباه ، فمن بيننا نحن – الاثنين – أنت



تعدين الأكثر خطرا . بعينيك الواسعتين البريئتين ولا أدري ماذا تخبئان . هل هذا قناع خادع أم انعكاس لروحك ؟ إنني لا أستطيع أن أصل إلى فهم أعماقك ولكني لن أعترف بالهزيمة .

أحست " كاري " بالخوف يتصاعد بداخلها كلما ازداد صوت الرجل ارتفاعاً. لاتوجد أية روح حية حولها ، ولن يوجد أي إنسان يمكن أن يسرع لنجدتها إذا مافقدت سيطرتها على الموقف ، ومع ذلك ، فمن المحتمل أن يتصاعد الموقف .

لم يكن " كيرك ألاندر " مراهقا ، ولكنه رجل كامل النضج ، والأكثر من ذلك أنه رجل محروم من النساء منذ وقت طويل .

جذبها بجواره حتى أحست بحرارة جسده تنتقل إلى الجو وتسري فيه . لم يبق سوى ثوان ويتلامسان . لقد حان الوقت كي تنزع نفسها من ذلك الشرك ، وتجري ناحية السيارة وتغلق على نفسها الباب من الداخل ، ولكن رغم كل جهودها لم تستطع أن تفعل ذلك .

أحست أولا بفخذه تلمسها ، ثم بجسده كله . أخذت ترتعش بينما صعدت داخلها حرارة خائنة تسللت إليها . ها هو ذا جسدها الذي يخونها .

أحست بداخلها بالهوان وأشاحت بوجهها ، ولكنه أمسك بذقنها وأجبرها على النظر إليه .

– لا تكوني خجولا . إن تلك القوة التي تدفع كلا منا إلى الآخر ربما تكون هي نفس القوة التي تدفع " الشيطان " نحو " الملاك " في هذه اللحظة ، دعي الطبيعة تأخذ مجراها يا " كاري " .

– ولكن الأمر يختلف . إنها حيوانات .

– ونحن كذلك حيوانات ، ففي أعماقنا تجدين غرائزنا الأساسية لا تختلف أبدا عن غرائزها .كل ما في الأمر أننا استطعنا تهذيبها بعض الشيء . فنحن في حاجة مثلها إلى الحب وممارسته ، ولكننا نقوم به بطريقة أفضل .

وصلت الفتاة إلى حالة صعبة وأخذت تلهث ليس من الخوف فقط . كانت كلمات " كيرك " وصوته الدافئ قد ولّدت داخلها صورا كانت تريد أن تطاردها وهي

يائسة .

– لا تخافي يا " كاري " . لايوجد ما تخافين منه وأعدك بذلك .

– إنني .. إنني ..

لم تستطع أن تتكلم : كيف تعترف له أنها تخاف من نفسها وليس منه ؟

وفي هذه اللحظة لن تنقذها كل ثقافتها وكفاءتها . لم يحدث من قبل أن واجهت موقفا مماثلاً . من المؤكد أنها قبلت رجالاً من قبل، وأحياناً بعاطفة شديدة وحماس ، ولكن لم تعطهم أبدا أكثر من ذلك . وهذه الرغبة التي أخذت تتصاعد داخلها لم يسبق لها أن أحست بها قط . رغم أنه لمسها فقط .. ماذا يحدث إذن لو زاد على ذلك ؟

أحست بالرعدة تتملكها . هل هذا هو ما كانت تخشاه دائماً ؟ أن تفقد سيطرتها على نفسها بين ذراعي ذلك الرجل ؛ ذلك الرجل معبود ملايين النساء الذي توجد معه الليلة وحدها فقط ، لأنه لم يجد في هذه اللحظة فتاة جميلة أخرى ، على بعد مئات الكيلو مترات حوله ؟ نعم . كان هذا هو الذي تريد أن تتجنبه بكل قوتها ، لم يكن هناك أي لبس في الأمر : إنه يشتهيها هذا المساء ولايهم بعد ذلك مايحدث . أخذ يتأملها .

– إنك تحاولين مقاومتي . إنك في داخل رأسك الجميل والصغير تحاولين أن تصديني ، ولكن جسدك ينجذب نحو جسدي .

أخذ يداعبها ، وهو يجذبها أكثر نحوه فأحست بأنها تذوب من السعادة . أخذت تتعجب من أنه رغم عنفه كان رقيقا في ملاطفته وكلماته . آه لو كف عن تلك الكلمات لا ستطاعت أن تفلت منه .

– إنك تتفاهمين معي جيدا يا " كاري " دون حاجة إلى الكلام .

لقد وقعت في شراك خبرته ضد جبنها ثم هناك أيضا سحر ضوء القمر . استسلمت لقبلاته وعناقه دون أية مقاومة ، ونسيت كل أوامر الوكالة وقواعدها وممنوعاتها الذهبية .

انساقت وراء رغبتها العارمة . وفجأة أطلقت صرخة مروعة جعلته يرتعد ويتراجع .

نظر إليها وقد ذهبت عنه كل الرغبة :



– لو كان مافعلته معي حدث مع رجل آخر لقتلك في الحال ، ولكن لحسن حظك أنني أستطيع أن أتمالك نفسي .

– أرجو المعذرة .

قدمت له يدها كي تعبر عن أسفها لما حدث ، ولكنه ردها بعنف .

–لا تسيئي استغلال الفرصة . إنني حقا رجل أستطيع التحكم في نفسي ولكني لست رجلاً خارقاً . هيا ادخلي السيارة واتركيني بضع دقائق .

أطاعته دون أن تنطق بكلمة .وتكومت فوق مقعد السيارة وهي تراقب ظله وهو يسير ذهابا وإيابا .

بعد مدة طويلة حضر وجلس بجوارها .

كان نفسه يبدو ثقيلا فاضطربت " كاري " رغما عنها من ضخامة جسده الذي أوشك أن يتكشف لها .

أخذ يتطلع من النافذة عدة دقائق وهو يدق بأصابعه على عجلة القيادة .

ثم استدار إليها ففقدت كل مابقي لديها من سيطرة ، ولم تدر ماذا تفعل .

قال بصوت أدهشتها رقته :

– حسنا .. نحن نعرف الآن .

أجابته بسؤال وهي لاتستطيع مقاومة عينيه :

– ماذا تعرف ؟

لمس خدها ودلكه ، فارتعش كل جسدها ثم أجبرها على أن تنظر إليه .

– عرفنا " كاري " البريئة جدا ولا يستطيع رجل أن يمسها . أمامك الكثير كي تكتشفيه . لم يسبق لك أن اشتهيت رجلاً لدرجة أن تفقدي عقلك قبل اليوم . كيف لم يسبق لك مواجهة هذه التجربة ؟ إنني أفهم ذلك يا " كاري " . ولكن خبريني كيف يتأتى لفتاة في مثل جمالك وجاذبيتك ، ألا تسمح لرجل أن يحبها؟

ردت عليه في أعماقها " لأنني لم أقابل رجلاً مثلك ، ولأنك دون شك الوحيد الذي يجعلني أحس بما أحسسته اليوم "، ولكنها لم تنطق بكلمة من كل هذا .

كل ما كان يريده هو مغامرة لاغد لها .

نعم إنه يحب النساء . وقد أثبت ذلك الليلة . ولكنه لم يكن مستعدا أن يحب

امرأة حبا دائما ومن الأفضل لها أن تتذكر ذلك إذا أرادت الخروج سالمة . نظر إليها بتركيز شديد .

– لحسن الحظ أنني فهمت سريعا ... فالوجوه المرعوبة ليست مفضلة عندي . أصابتها حالة من الكبرياء .

– ومن قال لك : إن لديك الفرص للوصول إلى مأربك ؟

لم يرد عليها ، ولكن صمته كان أبلغ : كيف له أن ينسى جنون اللذة التي أغرقته فيها منذ ثوان مضت ؟

قالت له بسخرية لاذعة :

– " كيرك ألاندر " حلم السعادة لهؤلاء النساء ، والعذارى يلقين بأنفسهن تحت أقدامك وتتصارع النساء أمام بابك . إنني ما زلت أتساءل : كيف لم تمت من الإنهاك . باللاستغلال !

– هذا حقيقي ! ولكني أبذل قصارى جهدي وفي نفس الوقت لاتريدين لي أن أخيب ظنهن .

زادت ثورة " كاري " والأسوأ أنه لايبالغ .

نعم ! أي عرض أزياء رائع يمكن أن تقوم به تلك الفتيات الحسناوات اللاتي تتابعن في حياته ؟ وهو سعيد لاشك لأنها لم تكن ضمن المجموعة .ومع ذلك لم تمنع نفسها من الإحساس بالندم .

– فكري يا " كاري " . لن يسير الأمر بيننا هكذا ، حتى إن لم تكن بيننا تلك العقبة التي تعرفينها .

– عقبة ؟ لم يخطر ببالي أبداً أن أسميها عقبة .

– ولكني أعتبرها هكذا . إنني لا أريد أن أقضي بقية حياتي أدفع ثمن انتزاع براءتك .وهذا هو الشرك الذي أجيد الهروب منه .

– ولكن تلك اللحظات لم تهمك إطلاقاً .

– هذا جنون ضوء القمر . يمكن أن يغرق فيه كل الناس ، في ليلة مثل هذه . ولكن الأمر انتهى الآن والحمد لله أنني خرجت منه ، دون أن أتورط فيما أندم عليه .

– إنني أتساءل : كيف مر كل ذلك . إنني اعتقدت أنك لاتحب الشقراوات .



– نعم هذا حقيقي .. واعتبري هذه الليلة نزوة عابرة .

في هذه المرة أمسكت بالفرصة ولم ترغب في تركها .

– إذا لم تكن تحب الشقراوات ، فلماذا تزوجت إحداهن ؟

خل صمت ثقيل ، لم يسبق لها أن أحست بمثل ماتحسه الآن من قلق . لماذا لم تستطع إذن أن تمسك لسانها ؟ إنها تعلم أن ذلك الرجل دائما له الغلبة . أجابها في لهجة باردة :

– إذا كان هناك شيء لا أطيقه فهو الفتيات الفضوليات اللاتي يدسسن أنوفهن فيما لا يعنيهن .

– إنني لم أفعل ذلك عن عمد . لقد رأيت تلك الصورة في حافظتك ، وكل مافي الأمر أنني سألت " سيمون " عمن تكون .

زادت الطين بلة .. ها هي ذي الآن تعترف بأنها أشركت شخصا ثالثا .

– في المستقبل سأطلب من " سيمون " أن يمسك لسانه . ليس معنى أنني أظهر على شاشة التليفزيون أن تصبح حياتي الخاصة ملكا للجميع وأنه يسمح لأي شخص أن يناقشها من وراء ظهري .

– ولكن هذا بالضبط هو الواقع . فإن شؤونك ليست خاصة ، فهي معروضة طوال الوقت في الجرائد . ومغامراتك العاطفية هي حلم كل ربة بيت طائشة .

سكتت عندما رأت تعبير وجهه .

– هذا يكفي لهذه الليلة . لو نطقت بكلمة واحدة ... .

كان التهديد واضحا في صوته يجعل من أي إيضاح بعد ذلك لا لزوم له .

دار المحرك واندفعت السيارة للأمام . اهتزت " كاري " بعنف في جميع أجزائها ، ولكنها احتفظت بصمت تام . إن تلك الهزات لايمكن أن تقارن بالهزات التي تعرض لها قلبها .

حاولت بصعوبة أن ترتب أفكارها كي تفهم ، كيف وضعت نفسها في مثل ذلك الموقف . فمن ناحية " كيرك " كان الأمر واضحا تماما : إنه لم يلمس امرأة منذ أسابيع عدة ، وبلغ الأمر ذروته مع فتاة شقراء تحت ضوء القمر . وهذا قد أعطاه العذر فيما فعل . ومهما كانت سذاجة " كاري " فإنها – لابد – تعلم الانجذاب الجنسي للرجل .

ولكن ماذا عنها ؟ ماالذي حدث لها ؟

لقد كانت على الأقل على دراية ... حتى اللحظة الحرجة بعد ذلك .. وعلى الأخص بعد ما وصلت حواسها إلى الذروة حتى أنها أحست بالجنون والرعب .

وعندما استعادت المنظر في ذاكرتها أحست بالرغبة في أن تعيده كاملاً . هل أصبحت منساقة لسيطرة هذا الرجل الشيطان ؟

جنون ضوء القمر ؟ ماهذا السخف ؟ نظرت إلى دارة القمر وسط السماء لمدة قصيرة ، ثم هزت رأسها . لا .. ليس هذا ممكنا . فهذا الضوء الشاحب الذي يغسل الطبيعة ويضفي عليها لمعانا فضيا لايستطيع أن يجعل الدم يسرع في عروقها ويجعلها تفقد عقلها ، وأن تلقي بجسدها بين ذراعي رجل لا تطيقه .

إذن هي ضحية وهم سيطر عليها منذ الصغر ؟ من المحتمل .. بعد أن نذرت نفسها لـ " كيرك " طوال سنوات كثيرة ، لم يكن أمامها سوى أن تغرق عندما وجدت نفسها وجها لوجه معه ، لقد أصبحت كل أحلام حياتها واقعا حيا . ولكنه واقع وحشي . ولهذا أصابها الخوف عندما بدأ يجردها من ملابسها . لم يعد هناك مايربط بين الأمير الساحر الذي يظهر على الشاشة وهذا الرجل الذي أراد أن يتملكها فوق أعشاب السافانا الأفريقية .

لمعت أنوار في الليل جعلتها تقطع توارد أفكارها . كانت صادرة من داخل كابينة القيادة .

قال لها " كيرك " بلهجة جافة :

– لو كنت مكانك لذهبت تواً إلى النوم .

ماالذي تستطيع أن تفعله غير ذلك ؟ هل تتبعه إلى حجرته ؟ من المؤكد أن غضبه بلغ الذروة . همت بالدخول بوقار للمنزل ولم توجه له أية كلمة ، عندما سمعته يطلق اللعنات من بين أسنانه . ماالذي يود أن يؤنبها عليه بعد ذلك ؟ استدارت بمزاج معتل . ولكنها وجدته ينظر إلى سيارة " لاند روفر " أخرى واقفة أمام المدخل الرئيسي للمعسكر . كان يزمجر في غضب :

– من بحق الشيطان يكون هذا ؟

ربما كان بعض السائحين التائهين يريدون قضاء الليل هنا . قالت :

– ألا يوجد معسكرات رحالة هنا ؟ .



– ليس هناك معسكرات على مدى هذا المعسكر، وغالبا لايبتعدون عن حدود المناطق السياحية .

في هذه اللحظة انفتح باب المنزل ورأت " كاري " جسماً فارعاً لرجل كبير في السن له شعر أبيض تماما ، على عتبة الباب . دهشت " كاري " للمظهر البارز للرجل العجوز . صاح " كيرك " باحترام شديد :

– أه ! إنه السير " تشارلز كينج وود " .

– لقد سمعت هذا الاسم في مكان ما ..

– هذا الأمر لايثير الدهشة . فهو يمتلك جريدة يومية وعدة مصانع ، وضيعة واسعة في مقاطعة "ميدلاند" وهو ناشر كتب .

– أتعني أنه تحمل مشاق كل هذه الرحلة كي يتابع تقدم كتابك ؟

– لقد تأخرت عدة أسابيع ، وقد استغرق التصوير وقتا أطول من المحدد والسير " تشارلز " يريد أن ينشر كتابي في الخريف كي يصبح معروضا في عيد الميلاد .

من المؤكد أن كتاب " كيرك ألاندر " الجديد سيحقق مبيعات عالية ، وهو دون شك يعد هدية عيد الميلاد القيمة بالنسبة للكثيرين .

قفز " كيرك " من السيارة ، وذهب ليصافح الرجل الشيخ بحرارة .

قال السير " تشارلز " وهو يبتسم :

– لقد مرت بي بضعة أيام تحررت فيها من العمل ، وحضرت كي أرى كيف حالك .

– أه .. لنقل : إنك حضرت كي تفتش علي ولتتأكد من أنني أعمل .

– إنني معجب بصراحتك يا " كيرك " . إذن دعنا ندخل في الموضوع مباشرة ، إلى أين وصل الكتاب ؟

– لقد انتهيت من نصفه تقريبا .

– النصف فقط ؟

– لا تقلق . فقد وضعت خطتي ولدي جميع المواد الخاصة بالفصول الأخيرة، ولم يبق سوى تحريرها وصياغتها . ولدي سكرتيرة ممتازة تكتب أسرع مما أقول .. أين أنت يا " كاري " ؟

تقدمت الفتاة ، وهي تبتسم بلطف للسير " تشارلز " ولكنها دهشت من التعبير الذي ظهر على وجهه . فهمت السبب في الحال . لقد كانت ممزقة الثياب ومبعثرة الشعر، والدماء على قميصها ، ولايبدو عليها أي مظهر من مظاهر السكرتيرة المثالية . سأل " تشارلز " :

– ولكن أين ذهبت الآنسة " جيفرسون " ؟.

– لقد مرضت أمها واضطرت إلى أن تعود إلى إنجلترا . "كاري " أعني الآنسة " شيبرد " جاءت من نفس الوكالة .

قطب السير " تشارلز " جبينه ، ثم استعاد شكله الطبيعي ومد لها يده :

– تشرفنا يا آنسة !

– أرجو أن تغفر لي عدم الهندام في هيئتي ... لقد ..

ألقت نظرة سريعة على " كيرك " فاكمل حديثها :

– لقد تعرضنا لحادث غير خطير ، أحدث بعض الصدمات للسيارة وبعض الخدوش لـ " كاري " .

– ماذا كنتما تفعلان إذن في الخارج وفي الليل ؟ ولكن هذا لا يهمني قبل كل شيء!

لم يفقد " كيرك " سيطرته على نفسه .

– كانت بعثة ميدانية ولايوجد شيء مهم .

أحست " كاري " داخليا أن تلك الكلمات الأخيرة كانت هي المقصودة بها . رددت عبارة " لاتخافي " بمرارة . نعم لقد فهمت الرسالة . رغم كل شيء فقد أشاحت بوجهها عن وجهه المألوف ، وعن تلك العينين الثاقبتين ، وعن تلك اليدين اللتين تجعلانها تنهار بلا مقاومة . سألها السير " تشارلز " :

– هل تعودت الخروج مع " كيرك " في كل جولاته ؟

– أحيانا ، خاصة عندما يريد أن أسجل له ملاحظاته .

– هل سجلت ملاحظات هذه الليلة ؟

" لماذا هذا الإصرار ؟ " أحست " كاري " أن ذلك لم يكن مجرد فضول . كان هناك شيء ما يزعج ذلك الرجل ، ولكن ماهو ؟

قال " كيرك " :



– هذه الليلة كنا نلاحظ فقط ، فقد تتبعنا فصيلة من الكلاب الوحشية .

استرجعت " كاري " منظر الأشباح السوداء التي تعدو عبر السهول ، وجمال المناظر الطبيعية وضوء القمر الفضي . أطلقت زفرة ، وتبعت الرجلين إلى داخل المنزل . كان " سيمون " و " فيرجاس " في انتظارهم بحجرة الصالون .

عندما حاولت أن تجد عذرا كي تنسحب وتذهب إلى حجرة نومها ، فتح الباب خلفها فجأة ، وهبت رائحة عطر فواح ملأت الحجرة .

رأت شابة في مدخل الباب . أحاط شعرها الأسود الناعم بوجهها الصغير الرقيق وقد حددت ملامحه بمكياج صارخ خاصة عينيها حيث كانتا على شكل ثمرة اللوز . قالت " كاري " في نفسها:

" إنها ليست حسناء ، ولكنها تعرف كيف تزين نفسها "

كان الثوب الذي ترتديه يقطع أنفاس من يراه . ويلتصق تماما بجسدها مظهرا كل تفاصيله . جحظت عينا " سيمون " :

" إنها مخلوقة غريبة ولا تصلح لأن تظهر وسط الأدغال . لابد أن لديها سبباً قويا كي تحضر وتظهر مثل الماسة بين مجموعة من الأحجار " .

قال السير " تشارلز " :

– أعتقد أنكم جميعا تعرفون ابنتي " ليديا " .

أدار الاسم رأس " كاري " ، هذه هي إذن " ليديا كنج وود " . لقد تذكرت تماما أين سمعت ذلك الاسم . لم تكن الجرائد تتحدث عن "تشارلز كنج وود " وإنما كانت تتحدث عن ابنته " ليديا " . وكان اسمها دائما مرتبطاً باسم "كيرك ألاندر" منذ أشهر مضت ، بل إنها ذكرت موضوع الزواج بينهما . لقد قال لها "كيرك " " إنني أحب الحسناوات السمراوت ذوات السيقان الطويلة " ، لقد فهمت الآن سبب ذلك .

تقدمت " ليديا " وهي تلقي نظرة على ماحولها وقالت :

– أعتقد أنني أعرف كل الموجودين هنا ، كيف حالك يا " سيمون " ؟ وأنت يا " فيرجاس " ؟ إنني سعيدة برؤيتكما .

بدا الحرج على السير " تشارلز " :

– لقد نسيت شخصا ياعزيزتي . أقدم لك الآنسة " كاري شيبرد " سكرتيرة "كيرك" .

نظرت " ليديا " إلى "كاري" نظرة متعالية وابتسمت في مكر وهي تمعن النظر في الملابس الممزقة والشعر غير المرتب ، والوجه المغطى بالتراب . واستدارت نحو " كيرك " دون أن تعنى بأن تقول كلمة لـ" كاري " وقالت له :

– أعرف ياعزيزي أنك تتحرق شوقا لرؤيتي ، وقد أقنعت والدي بأن يصحبني معه إلى هنا .

بعد ذلك عبرت الحجرة وألقت بنفسها بين ذراعي " كيرك " وطبعت قبلة طويلة على شفتيه .

كان ذلك فوق طاقة تحمل " كاري " . حبست دموعها بصعوبة ، وخرجت بسرعة من الحجرة دون أن تلقي السلام على أحد . لم تكن تريد أن تقدم مشهدا دراميا خاصة أمام " ليديا كنج وود " .

عندما وصلت حجرتها صفقت الباب وراءها ، ثم انهمرت دموعها غزيرة . وألقت بنفسها على السرير وهي بكامل ملابسها . أولاً هناك صورة " إستيل " زوجة " كيرك " السابقة ، والآن ها هي ذي " ليديا كنج وود " تظهر شخصيا . كم عدد النساء اللاتي سيظهرن بعد ذلك ؟

أغلقت عينيها ، وحاولت أن تمحو صورتهما ولكن لاحيلة لها في سلسلة الكوابيس المتلاحقة التي تتعرض لها : شعر " ليديا " الطويل وخصلات شعر " إستيل " الذي تخيلته يطير أمامها بلاتوقف .

لماذا إذن تحس بكل هذا الأسى ؟ لماذا لا تتمكن من التحكم في أعصابها ؟ انتابتها الرعدات المتلاحقة التي هزتها فاستغرقت بعد ذلك في نوم أوصلها أخيرا – بعد معاناة – إلى حالة من السلام .



# الفصل السادس

أخذ صدى ملح يتردد في رأسها ، فتحت " كاري " إحدى عينيها ثم أغلقتها ، تكررت الضجة ثانية ، هناك شخص يطرق الباب .

سمعت صوتا مألوفا يسألها :

– هل استيقظت يا " كاري " ؟

لا .. لا .. ليس هو ! كانت ذكرى الليلة الماضية شديدة الإيلام . لم تكن لديها أية رغبة في أن ترى " كيرك " وجها لوجه . اعتقدت بسذاجة أنه سيذهب إذا لم ترد عليه ، فدفنت رأسها في الوسادة .

ولكن كما هو متوقع فتح الباب ودلف إلى الحجرة . كانت ساكنة ، وكأنها ميتة وتركته يقترب وهي مصرة على إغلاق عينيها .

ولكن ذلك لم يفلح كثيرا . قال لها بلهجة تأنيب :

– انظري إلي ! إنك لم تعني حتى بخلع ملابسك بالأمس .

– لقد كنت مجهدة وما زلت . اذهب لأنني أريد أن أعود إلى النوم ثانية .

– إنني أريد أولا أن أعالج ذراعك .

فتحت عينيها وهي ساهمة .

– ذراعي ؟

– لابد من تنظيف الجرح ومعالجة الخدوش التي حدثت لك ليلة أمس . ولقد نسيت الأمر عندما وجدت السير " تشارلز " قد حضر .

ذكرته " كاري " :

– ووصول " ليديا " ، أم هل نسيت تلك المخلوقة الساحرة ؟

قاطعها وهو يقول :

– هذه المخلوقة الساحرة كما تقولين قد قابلتها ، والآن فإنني مشغول تماما بملاحظة ذراعك وعلاجه .

– حسنا ! كف عن القلق فأنا بخير . هيا مارس هواية الحماية على شخص

أخر .

كانت في هذه اللحظة تنظر في عينيه مباشرة .. كان من الواضح أنه لم ينم ، وكانت الدوائر حول عينيه وتقاطيعه المشدودة لاتدع مجالا للشك في أنه سهر الليل كله ، أحست للحظة بالسعادة والشماتة . ولكن فكرة أخرى طرأت على بالها . إذا كان لم ينم فإن ذلك لن يكون بسبب الأرق . قد تكون " ليديا " هي السبب في عدم نومه ، وفي هذا الإجهاد البادي على وجهه . أحست عند هذه الفكرة كأنها أصبحت فارغة من الداخل ، نعم لابد أن هذا هو السبب . من المحتمل أن "كيرك" الذي أصابه اليأس في محاولته الفاشلة معها ، قد اعتبر وصول " ليديا " بمثابة الفرصة المنقذة له . لاشك أن العلاقة بينه وبين " ليديا " لامثيل لها فوق الأرض ، خاصة عندما تذكرت قبلتهما الطويلة ، ويبدو أنه من المؤكد أن يستأنفا علاقتهما العاطفية بعد طول شوق .

جف حلق " كاري " . حسنا إن رؤية شكل " كيرك " هذا الصباح يدل على أن " ليديا " بذلت جهدا كبيرا كي تبقي ذلك الرجل مستيقظا طوال الليل .

ماذا يهمها ؟ ليس بغريب أن يبتعد عنها " كيرك " ويتحكم في نفسه عندما اكتشف أنها مازالت عذراء . إن رجلا في مثل خبرته لايعجبه أن يقيم علاقة مع فتيات دون تجارب . إن مايلزمه هو علاقات عابرة ، دون تعقيدات ، ويستطيع أن ينهيها دون أية آلام ، عندما يستعد لاستئناف عمله .

- هل عدت للنوم يا " كاري " ؟

كان صوت " كيرك " يتردد في رأسها فيسبب لها الآلام .

أجابت بصوت منخفض :

- لا ، إنني لست نائمة .

- إذن انهضي واذهبي إلى الحمام وعندما تنتهين ناديني حتى أقوم بوضع المراهم على ذراعك .

همهمت:

- لماذا كل هذه الضجة من أجل بضعة جروح . ياربي دعه يذهب ويتركني في حالي .



- إن أي جرح مهما كان صغيرا من الممكن أن يتلوث في هذا الجو . ولا أريد أن يحدث لك هذا .

خرجت من الفراش دون رغبتها وجرت نفسها حتى الحمام . ما إن أصبحت تحت الدش حتى غطت جسدها بالصابون بسرعة . كان اقتصاد الماء قد أصبح عندها عادة .

ثم لفت نفسها في منشفة كبيرة ووقفت أمام المرآة .

ماهذه المذبحة التي تعرض لها شعرها ، لقد تعرض للحرارة والريح وصراع الليلة الماضية . تناولت المشط وحاولت أن تمشطه ، ولكنها سرعان ماكفت عن المحاولة . كان من الأفضل لها لو قصته قبل حضورها إلى هذا المكان ، ولكنها عندما غادرت الوطن قالت في نفسها :

" إن كل شيء يمكن أن ينصلح عند حلاق السيدات عند العودة " .

عندما بحثت في صندوق الأدوية وجدت مجموعة من أنابيب الأسبرين والمراهم وبعض الضمادات ومقصا صغيرا . حسنا إن ذلك سيقوم بالمهمة . عندما عادت إلى المرآة أمسكت بالخصلات غير المنتظمة وبدأت تقصها بعزم . لم تكن النتيجة جميلة .

بعد أن انتهت من عملية قص الشعر كانت النتيجة شعراً غير منتظم وغير متناسق . حاولت أن تسوي مابين الشعر ولكنها لم تفلح . قالت بحكمة :

" ليس من المفضل أن تصنع أنصاف الحلول " ، ثم أخذت بهمة تقص شعرها بطريقة منظمة ، ولكن بعد نصف ساعة نظرت في رعب إلى الحالة التي وصل إليها رأسها .

قالت لنفسها :

" أعتقد أن مافعلته ليس بالفكرة الحسنة ، ولقد حذرتك أمك من الأفعال العفوية الخطرة " .

أحست فجأة برغبة عارمة في أن ترى أمها وأن تتكلم معها وأن تحكي لها تفاصيل كل الأحزان التي مرت بها منذ وصولها إلى أفريقيا .

ولكن تحقيق ذلك كان أمراً خارج المناقشة . فوالداها موجودان الآن في

أمريكا الجنوبية . ولن يعودا إلى انجلترا قبل نهاية العام كي يقضيا فيها إجازة قصيرة ، ثم يلحقا بعد ذلك بالسفارة البريطانية بباريس ، حيث عين بها والدها . أطلقت زفرة : إن أمريكا الجنوبية بعيدة للغاية .

ولكن هل كان لابد لهما أن يوجدا على بعد آلاف الكيلو مترات في هذه اللحظة؟ ولكن ذلك في الحقيقة أفضل حتى لايريا ماحدث لها ، خاصة أمها التي كانت تفتخر دائما بشعر ابنتها الأشقر المسترسل . ألقت " كاري " نظرة أخرى على المرآة فبكت .

– " كاري " هل أنت بخير ؟

كان صوت " كيرك " .. لابد أنه كان يسمع صوت نحيبها . أصابها الرعب وحاولت بسرعة أن تخفي شعرها المقصوص والمنثور على الأرض وتدفعه أسفل الأثاث وستعود مرة أخرى فيما بعد لرفعه . قال " كيرك " بحزم :

– سأدخل !

دفع الباب ودخل الحمام :

– هل جرحت نفسك ؟ لقد سمعت صرخة .

– أنا .. أنا صدمت أذني .

نظر إليها نظرة عدم اقتناع ، ولكن لحسن حظها لم يسأل أي سؤال .

فتح صندوق الأدوية وأحضر زجاجة مطهر وقطعة شاش ورباطاً ضاغطاً .

ضغطت " كاري " المنشفة حولها بقوة .

– أعتقد أن من الأفضل أن أرتدي ملابسي أولا .

قاطعها :

– لاتكوني مضحكة .. إنني هنا كي أعالج ذراعك وليس لكي أغريك وأغازلك .

لم تمنع نفسها من أن تقول في شبه همس :

– تغريني مرة ثانية ؟

– حسنا . هل تريدين الحديث مرة ثانية عما جرى بالأمس . وكل ما تريدين الكشف عنه ؟ أنا شخصيا لا أجد فيما حدث أية أهمية . لقد حدث وانتهى وهذا كل ما في الأمر . لقد ارتكبت خطأ وسنكسب كثيرا لو نسيناه .



قالت في نفسها بمرارة :

" من السهل أن تقول ذلك . بالنسبة لك لست سوى دمية جميلة في سلسلة نسائك الحسناوات . وستنسى وجودي بعد رحيلي مباشرة ، أما أنا ... "

كتمت أنفاسها ، وبدا لها أن قلبها كاد يتوقف نبضه . تبينت الحقيقة فجأة ، إنها تحبه !

كانت قد هزتها الحقيقة بقوة ، حتى أنها كادت تعلن ذلك بصوت عال . فجأة تذكرت التعليمات التي صدرت إليها قبل حضورها ، ولكن ماحدث ليس مجرد حب مدرسي وبالنسبة له لن يغير من الأمر شيئا أن يعرف أنها تحبه . لايمكن أبداً وبأي حال أن يستوعب أن هذه الفتاة الساذجة الغبية يمكن أن تقع في حبه.

بدأ " كيرك " الكلام :

– هل تريدين حقا أن أشرح لك ماحدث بالأمس ؟ إنه أمر سهل للغاية يا "كاري" ليل أفريقيا وضوء القمر والإثارة الناتجة من متابعة المطاردة عبر السهول ، كل هذا خلق جوا خاصا وحالة من الإثارة . لقد كنت حساساً ناحية هذا الجو ... وأنت كذلك . لاتنكري !

– إذن كان الأمر غلطتي ؟

– من ناحية معينة كنت تشتهينني . ولا تقولي العكس . على أية حال . حتى لحظة تملك الخوف منك كنت تشتهينني . ولهذا السبب وجدت صعوبة شديدة في التحكم في أعصابي . لايمكن أن يخلق الرغبة سوى رغبة الطرف الآخر . ألا تعرفين ذلك ؟

أصبح الأمر لا يطاق . ياإلهي دعه يصمت :

– أرجو أن تكتفي بعلاج ذراعي . إنني أحس بالبرودة وأريد أن أرتدي ملابسي. لم يستغرق الأمر سوى دقيقة . ولكنها دقيقة تساوي العمر كله . لم تحس حتى بلذعة المُطهر .

كان لمس " كيرك " لذراعها يشعل النار فيها . قال وكأنه يوجه الكلام إلى طفل صغير :

– هاهو ذا الأمر قد انتهى على خير ياحبوبتي .

أجابته وهي تحاول أن تبدو غير مكترثة :

– نعم . وشكرا . هل لي الحق في أن أنال مَصاصة .

– لا ، وإنما قبلة فقط .

قبل أن يتاح لها الوقت للمراوغة قبلها فوق جبينها .

– أترين ؟ لم يعد هناك تيار كهربائي ، فقد عادت الأمور إلى طبيعتها .

" عادي " ؟ كيف يكون كل شيء بهذه السهولة بالنسبة له . أما هي فلم تكن لديها القدرة على نسيان تلك اللمسة السريعة . بعد ذلك أخذ في ترتيب الأدوية والمطهرات . ولكن هل يكتفي ؟ نعم ، لم يكن هناك ما يدعوه إلى أن يلتهب . فالقبلة بالنسبة له لم يكن لها معنى . وأحسن ماتفعله هو أن تعود إلى حجرتها .

أحست بالخلاص عندما لم يحاول منعها ، أغلقت القفل مرتين وخلعت المنشفة بيد مرتعدة وقد كانت تلف بها رأسها . كانت كارثة !

هل خلعت المنشفة عن عمد ، أم دون أن تدري ؟

لابد أن ماتراه أمامها هو عقاب شخصي على مافعلته بالأمس . لم تجرؤ على الاعتراف بذلك .

كان هناك شيء واحد مؤكد ، هو أن " كيرك ألاندر " لم يعد ينظر إليها ، الآن، وقد أصبح رأسها مثل الكتكوت الذي خرج من البيضة لتوه ، إن الساحة أصبحت خالية أمام " ليديا " .

سقطت على الأرض وانفجرت في البكاء .

بكت طويلا ثم ارتدت ملابسها بطريقة آلية وحاولت أن تصلح الخسائر في وجهها عن طريق أدوات الزينة ، وكان أفضل ماتصنعه هو أن تمشط ماتبقى من شعرها في جميع الاتجاهات والأفضل ألا تحاول تعديل تصفيفتها .

كم تمنت أن تقبع طوال النهار في حجرتها . ولكن ذلك كان مستحيلا . كان أمامها الكثير من العمل : فصلان مطلوب كتابتهما بالآلة الكاتبة ، ألقت نظرة سريعة على البهو .. لم تر أحدا . جرت حتى حجرة المكتب وأغلقت الباب وراءها. كان كل شيء على مايرام حتى هذه اللحظة . ولكن ستأتي اللحظة التي تضطر فيها إلى مواجهة الجميع .



وجدت فوق مكتبها كومة جديدة من الأوراق في انتظارها وتبينت فيها الكتابة غير المقروءة لـ " كيرك " فضاق مابين حاجبيها ، لقد كانت هذه الأوراق فصلا جديدا لم يكن موجوداً بالأمس . وقف قلبها عن الخفقان . هناك تفسير واحد لما تراه : لابد أن " كيرك " عمل طوال الليل في هذا الفصل . كان إرهاقه لا صلة له بـ" ليديا " إذن !

من الواضح أن ذلك التفسير لايعني أيضا أنه لم يفعل شيئاً مع " ليديا " في المساء ... ولكن حتى هذه اللحظة فإن ذلك لا أهمية له .

اختفت سحابة الغيرة مؤقتا . أخذت تتمطى وهي تمسك بالورقة الأولى وتضعها في الآلة .

بعد دقائق سمعت طرقا على الباب الذي فتح ، ودخل " سيمون " . بدأ حديثه:

– هل يمكنك أن تكتبي لي خطابا على الآلة يا " كاري " ؟

ثم طرفت عيناه من الدهشة . أمرته بحزم :

– لاتقل شيئا . فأنا أعرف كيف أبدو .

تقدم داخل الحجرة ونظر إليها وهو مفجوع :

– ولكن ماذا حدث لك ؟ وذلك الشعر الرائع ؟

– لقد أردت أن أخففه . ولكني لم أستطع أن أتوقف في الوقت المناسب .

– والأدهى من ذلك أنك استعملت مقصا غير حاد . ياللكارثة !

– أشكرك على كلماتك المشجعة .

– اعذريني . إنني لا أريد أن أسبب لك ألماً ، ولكن الكلام خرج دون إرادتي . إنني و" فيرجاس " نعتمد عليك كثيرا .

نظرت إليه نظرة مستريبة .

– ولكن لماذا قلت ذلك ؟

– كي .. كي أمنع " كيرك " من الوقوع تحت إغراء " ليديا " .

اعترف بذلك وهو في شدة الضيق .

– اشرح لي ماذا تعني بقولك هذا ؟

سحب مقعدا وجلس في مواجهتها وقال بجدية :

– أنا و " فيرجاس " لانستطيع أن نتحمل " ليديا " . إنها حقا من طبقة عالية ، ولكنها باردة كالثلج . كان " كيرك " قد هرب من براثنها بالرحيل لإعداد تقرير إخباري عن السلاحف الضخمة في جزر " جالاباجوس " .. ولكن فتاة مثل "ليديا" لايمكن الإفلات منها بسهولة . لقد تبعته حتى هذا المكان .

– لا . لكن السير " تشارلز " هو الذي أراد معرفة مدى تقدم النص الخاص بكتاب " كيرك " ، ومن الطبيعي أن تصحبه " ليديا " .

همهم " سيمون " :

– باللتفاهة ! كان يكفي أن يقوم السير " تشارلز " بالكتابة لـ" كيرك " ، لسنا معزولين عن العالم تماما ونتلقى البريد مرتين في الأسبوع . يمكنك أن تستشفي من أن الفكرة فكرة " ليديا " . إنها تحاول أن تلقي شباكها على " كيرك " . بأن تحوم دائما حوله وسينتهي الأمر بأن يقع في قبضتها .

– أعتقد أنه ليس بمقدور أحد أن يمسك بـ" كيرك " في قبضته .

– ربما لا ... ولكن " ليديا " لديها أكثر من خدعة في حقيبتها . و" كيرك " ربما لايعرف عدد ألاعيبها .

– إذن قررت أنت و " فيرجاس " أن تستخدماني لإبعاد " كيرك " عن "ليديا" .

اعترف قائلا :

– لقد خطرت الفكرة على بالنا بكل تفاصيلها دون شك . نحن لا نسعى إلى إلقائك بين ذراعيه وإنما فقط ...

قالت بلهجة لاذعة :

– وإنما أتراقص أمامه ، وأترك أعلى قميصي مفتوحا أو أي شيء من هذا القبيل ؟

لدهشتها وجدت " سيمون " يوافقها دون أن يضحك :

– بالضبط .

ثم خفض عينيه خجلا وأكمل :

– وهأنتذي الآن قد أفسدت شعرك ولا أعتقد أن الخطة ستنجح .



– يا " سيمون " ! لست أدري ماالذي يمنعني من إلقاء هذه الآلة في وجهك .

– آسف يا " كاري " وأرجو المعذرة . إنني لا أفكر إلا في " كيرك " .

– يخيل إلي أن كل الناس هنا تفكر كثيرا في " كيرك " . إنه يستطيع أن يقوم بمعاركه الخاصة ، وأنا متأكدة من قدرته على ذلك .

قال " سيمون " وهو ينهض :

– إنك على حق دون شك . يجب أن تذهبي لمقابلة " فيرجاس " بشأن شعرك ، فهو يقوم بعملية تهذيب شعرنا أثناء الرحلة ، وهو ممتاز في هذا العمل .

قالت بلهجة يشوبها نفاد الصبر :

– في الحقيقة أنا محتاجة إلى أن أظل بمفردي .

– هذا لن يضرك . اتبعي نصيحتي يا " كاري " واذهبي إلى " فيرجاس " .

عندما خرج ، وضعت يدها على شعرها وأطلقت زفرة طويلة . على أية حال قد يستطيع " فيرجاس " أن يقلل الخسائر .

تركت آلة الكتابة ، وذهبت للبحث عنه . كان يجلس غالبا أسفل الشرفة كي يعد الخضراوات من أجل الغداء . فتحت الباب بيد ثابتة فأعمتها أشعة الشمس الساطعة . ولكن ما إن تعودت عيناها على الضوء حتى اكتشفت وهي ذاهلة :

" ليديا " فارعة الطول تأخذ حمام شمس وهي فوق منشفتها . قالت "ليديا" باحتقار :

– ياإلهي ! هذه هي السكرتيرة الصغيرة .أليس من المفروض أنك تعملين ياعزيزتي ؟ إنني متأكدة من أن " كيرك" لايدفع أجرك من أجل أن تتريضي طوال اليوم دون أن تفعلي شيئا .

فتحت بعد ذلك عينيها اللتين تشبهان عيني القطة ثم انفجرت ضاحكة عند رؤيتها شعر " كاري " .

– ياإلهي .. ياله من منظر !

ارتعدت " كاري " من شدة الغضب . وعادت مسرعة إلى داخل المنزل . كانت على وشك البكاء حتى أنها لم تشاهد " فيرجاس " . لم يكن " فيرجاس " في

حاجة إلى شرح مفصل ليفهم المطلوب منه . جلس على مقعد وأخذ يربت على كتفها مواسيا :

– سأذهب لإحضار المقص فلاتتحركي .

عاد بعد دقيقة وبيده مقص ومشط . مرر المشط عدة مرات في شعرها الرهيب وكأنه يقيم طريقة إصلاح الخسائر . قال :

– دعينا ننظر ما يمكن صنعه !

في هذه اللحظة دخل " كيرك " الغرفة فجأة .

أحست " كاري " أن معدتها تكاد تنقلب رأسا على عقب . إذا كان هناك شخص لا تريد أن تراه في هذه اللحظة . فهذا الشخص دون شك هو " كيرك الاندر " . قال " كيرك " :

– " أريد أن أقول لك يا " فيرجاس " إن السير " تشارلز " وأنا سنتغيب عن طعام الغداء .

ثم تحول نظره إلى " كاري " :

– إنك تقصين شعرك . إنها فكرة جميلة وهو مناسب للموضة . خاصة في هذا الجو .

عندما انغلق الباب وراءه ظلت "كاري " في دهشة :

– إنه لم يلاحظ أنني أفسدت شعري . لابهم إذن لو رآه أحد غيره وعلق تعليقا جارحاً .

ابتسم " فيرجاس " ابتسامة غامضة .

– كما يقال : " الحب أعمى " .

– لا تهزأ بي يا " فيرجاس " خاصة في هذه اللحظة .

قالت ذلك في لهجة توسل ثم سألته عن المعنى الخفي لعبارته . بعد عشرين دقيقة وضع " فيرجاس " المقص على المائدة وقال لها :

– لقد فعلت أقصى مابيدي . هيا بلليه ثم دعيه يجف في الشمس ولا أريد أن أرى مفاجأة مثلها مرة ثانية . ولكني أظن أن النتيجة ستفاجئك .

في الحقيقة كان " فيرجاس " قد حقق معجزة حيث كان وجهها محاطاً



بخصلات طائرة وناعمة ، وقد أظهرت التصفيفة الجديدة تقاطيع وجهها الناعم الرقيق واستدارة خديها الرائعة وعينيها اللتين تحيطهما الرموش الطويلة .

قالت في نفسها :

" شيء خرافي . لابد أن أعطي " فيرجاس " مقابلاً كبيرا " .

دخلت قاعة الطعام وهي ترفع رأسها في كبرياء وفخر ، ولاحظت نظرة "ليديا " الرهيبة التي كانت بالنسبة لها أعظم مجاملة تلقتها . نعم لقد أحسن "فيرجاس" عمله .

قضت بقية النهار خلف آلة الكتابة وهي توضح المذكرات التي كتبها " كيرك " أثناء الليل .

لحسن الحظ أنها لم تكن تعمل من أجله بطريقة السخرة . كانت طريقته في العمل تعكس مسلك الرجل الذكي ، النشط ، المملوء حماسا ، الأمر الذي جعلها تسرع في الكتابة وقد جذبتها الحوادث التي أحسن شرحها في كتابه .

بدا العشاء لها في هذه الليلة غير مقبول بصفة خاصة ، أسرعت " ليديا " بالجلوس بجوار " كيرك " ، وذهبت شهية " كاري " عندما وجدت غريمتها تلمس يد " كيرك " باستمرار وذراعه وكتفه . جرت تحتمي بالمكتب بعد أن التهمت أخر لقمة من عشائها .

انكفأت على آلتها الكاتبة لمدة ساعتين . ثم أنهت مهمتها ، وجمعت الأوراق المكتوبة ونهضت ثم أخذت تخطو ذهابا وإيابا أمام النافذة ، حيث كانت في حاجة إلى استنشاق الهواء .

لقد حبست نفسها منذ الصباح في الغرفة الصغيرة فبدأت تحس بالاختناق .

ولكن من الواضح أنها لن تستطيع أن تتريض .لقد استفادت من درس اللبؤة.

ولن تواجه بعد ذلك تجربة وضع قدمها خارج المنزل دون حراسة .

وأخيرا فإن بمقدورها أن تبقى بعض الوقت في الشرفة كي تتمتع بالهدوء وبضوء الغسق .

خرجت من أحد الأبواب الجانبية – وتركت نفسها تتأمل المناظر الطبيعية ولكن فجأة انتبهت عندما لاحظت خيالا ممددا فوق الأريكة .

كان "كيرك ألاندر" هو آخر شخص يمكن أن تتوقع وجوده هناك في هذه اللحظة .

فكرت للحظة أن تتراجع ، ولكنه رفع رأسه وركز عليها نظرة ثاقبة ، جعلها تتسمر في مكانها وكأن ساقيها شلتا . قال لها :

– لا فائدة من الهرب ، ومن الأفضل أن تجلسي معي لحظة .

كانت طريقته في إصدار الأوامر تخنقها تماما . مع ذلك ساقتها قدماها دون إرادتها ناحيته . بعد لحظات ألقت بنفسها فوق الأريكة .

أحست بالضيق عندما استمر في صمته . ماذا وراءه إذن ؟ فجأة رأته يتأمل شيئا في يده . كانت صورة فوتوغرافية ... صورة زوجته السابقة "استيل" . هل ظل هكذا يتأملها طويلا ؟ هل كان يتخيل أنها يمكن أن تعود إليه ثانية بهذه الطريقة ؟ رغم أنفها ، أحست بالإثارة وسألته بصوت مهتز :

– هل هذه هي الصورة الوحيدة عندك لزوجتك ؟

– إنها لم تعد زوجتي الآن .

وهمهمت بصوت مليء بالاعتذار :

– أرجو المعذرة .

– أعذرك ؟ لماذا ؟

أتت بحركة لا معنى لها وأخيرا استطاعت القول :

– حسنا .. لأن زواجك انتهى بالفشل .

قطب جبينه :

– لقد كان ذلك كله بسبب خطئي ، ولم يكن من الواجب عليّ أن أتزوجها من البداية .

لم تستطع "كاري" في هذه اللحظة أن تنطق بكلمة بينما أخذ "كيرك" يتأملها وهو صامت .

– ما الذي دار في رأسك الصغير الساذج ؟

هل تعتقدين أنني نادم على طلاقها ؟ وأنني مازلت عاشقا لها ؟

أخذت عيناها تطرفان :



– ولكن .. أليس ذلك أمرا حقيقيا ؟

– لست متأكداً من أنني أحببتها منذ البداية . أوه .. لقد كانت "استيل" امرأة رائعة . لقد كنت دون شك مجنوناً بها . ولكن هل يمكن تسمية ذلك حبا ؟ إنني أنا شخصيا غير واثق من نوع تلك العلاقة ، ومعنى تلك الكلمة . كان والداي قد توفيا إثر حادث غبي بالطريق . وقد توفيا في الحال فوجدت نفسي وحيداً في هذا العالم . كنت دون شك في حاجة إلى تعاطف وحنان في تلك اللحظة وهي نفس اللحظة التي ظهرت فيها "استيل" كانت أجمل فتاة رأيتها في حياتي . كان كل الناس على استعداد لقتل أقرب المقربين إليهم مقابل قضاء ليلة واحدة معها . نعم .. نعم .. لقد كنت في ذلك الوقت قليل الخبرة ...

قال عبارته الأخيرة عندما لاحظ ذهول "كاري" .

– على أية حال فقدت عقلي تماما ، وطلبت يدها للزواج ، بعد أقل من أسبوعين من لقائي بها . بعد أيام قليلة كنا بالفعل قد تزوجنا .

ألحت "كاري" وهي تحاول كتم علامات الغيرة في صوتها :

– ولكنك أحببتها قليلا على أية حال .

اعترف "كيرك" قائلا :

– لقد اشتهيتها دون شك . ولكن الشهوة والحب شيئان مختلفان . بعض الناس يظنون أنهما شيء واحد . ولكني شخصيا أفرق بينهما ، لقد كنا متفاهمين تماما . ولكن ذلك لم يدم طويلا ، ومهما كان عمق العلاقة فإنني لا أعتقد أن الجاذبية الجسدية بين شخصين يمكن أن تكفي .

حولت "كاري" عينيها ثم سألته برقة :

– ماالذي حدث ؟

صمت في الحال ، ولما كانت لاتنتظر منه ردا استأنف حديثه وكأنه يود الاعتراف :

– كنت في بداية عملي قد حققت أحد المستندات ، وبدأت في إعداد مستندين آخرين . ولسوء الحظ تطلب مني ذلك أن أتنقل كثيرا ، ولم تستطع "استيل" أن تتحمل ذلك . رغم جسمها الذي يشبه جسم عارضة الأزياء،

وجاذبيتها ، فإنها خلقت كي تكون ربة منزل . كان في الإمكان أن توضع صورتها على أغلفة المجلات لو أرادت أن تمتهن مهنة فتاة الغلاف ، ولكن كل ماكانت تشتهيه هو منزل تصبح ربته ، زوج وأطفال ، وأن يذهب زوجها للمكتب طوال النهار ويقضي كل الأمسيات وعطلات الأسبوع معها .

لمعت عينا " كاري " من الشعور بالهوان . قالت بلهجة تشوبها المعارضة :

– وأنت لم تكن مستعدا للتضحية بوظيفتك من أجلها ؟

أجابها بسهولة :

– " لم يكن أمامي حرية الاختيار . هذه المهنة كانت في دمي ، لقد حاولت أن أرفض البعثات للخارج ، عندما أحسست بأن الأمور ليست على مايرام ، واضطررت كثيرا إلى أن أعود إلى المنزل مرغما ، ولكن الوقت كان قد فات . لقد التقت " استيل " برجل قادر على تحقيق الحياة المستقرة التي كانت تحلم بها . ولما لم يكن هناك شك في أنها تحب ذلك الرجل فقد تواريت من حياتها ، عندما طلبت الطلاق .

– يبدو عليك أنك غير مهتم وغير متأثر وكأن ذلك الأمر لايهمك على الإطلاق .

هز رأسه :

– غير صحيح . لقد أفقدني ذلك كل ثقتي في نفسي . لقد تم بيننا طلاق بالتراضي ، دون تلك المشاهد المأساوية . وحمدا لله أنه لم يكن لدينا أطفال يتأثرون بطلاقنا . ولكن بعد بضعة أشهر بل سنوات أحسست بأنني ضائع . وأعتقد أن كل من فشل زواجهم مروا بنفس الشعور والمرحلة . إنه إحساس رهيب ، ويظل المرء مسهدا ليالي طويلة وهو يتأمل ، ويبحث عن السبب فيما حدث . وماذا كان في الإمكان أن يفعل لإنقاذ زواجه . كان الحل الوحيد بالنسبة لي هو الانهماك في العمل ، حتى لا أفكر في الموضوع .

قلب اعترافه بضعفه تفكيرها رأسا على عقب . كيف تأتى لها أن تستمع إلى اعتراف " كيرك ألاندر " بضعفه وتوتره وفشله دون أن يسبب لها كل تلك الدهشة؟

– لماذا تقص عليّ كل هذا ؟



ظل ينظر في الفضاء دقيقة أو دقيقتين ثم أجاب وقد بدا عليه الإنهاك :

– لماذا ؟ لست أدري . هل لابد من وجود سبب ؟

وقف عن الكلام ثم أضاف وقد بدا عليه الشرود :

– لا أجد سوى سبب واحد : " كم هو قاتم ضوء القمر في منفاي " ؟ هل يكفي ذلك التبرير ؟

– هل هذا كلام مأثور ؟

– أعتقد . لقد قرأته في مكان ما لا أتذكره وهو أمر لا يهم كثيرا .

أخذت كلماته تتردد بصوت عال داخل رأس " كاري " : " قاتم ضوء القمر " . نعم ! لقد أحست بالظلمة تطبق عليها وتجعلها تحمل جزءاً من وحدة " كيرك " التي فرضت عليه .

استمر " كيرك " ، ووجهه مشدود ، في إدارة الصورة مرات ومرات بين يديه وكأنه يريد أن يمحو الماضي .

ولدهشة " كاري " قام فجأة بتمزيق الصورة وألقى بقطعها على الأرض الممتدة أمامه ، وصاحت " كاري " وهي تنهض من مكانها فجأة :

– لم يكن من الواجب أن تفعل هذا . سأقوم بإحضار القطع وأعيد لصقها .

قام واعترض طريقها ، وأمرها بصوت حازم :

– لا .. اتركيها . لم أحتفظ بهذه الصورة طوال هذه السنين إلا لسبب واحد: هو أن تذكرني دائما بألا أقع في نفس الغلطة مرة ثانية . إن مثل عملي لايترك مجالا لعلاقات دائمة ، لقد تعلمت ذلك من تلقاء نفسي ، ولن أنسى هذا الدرس أبداً . إنني لست في حاجة إلى تلك الصورة بعد ذلك .

– ولكنك قد ترغب أحيانا ...

أحست بأنفاسه فوق رقبتها . همس برقة وهو يغير لهجته فجأة ، وكأنه ابتلع كرة صغيرة وقفت في حلقه . لم تجب . وظل مقترباً من خلفها لدرجة أن " كاري " لو تحركت قليلا للخلف لاصطدمت بجسده :

– ... بعض الشيء مثل هذا !

ثم احتضنها ، وهو يهمس في أذنها ويداعبها :

- إنني أحبك كثيرا بشعرك القصير فهو يكشف عن عنقك الجميل .

أحست الفتاة بالرغبة تشتعل داخلها ، انتزع نفسه منها بجهد خارق وقال :

- أوه يا " كاري " ، إنك تستطيعين أن تجعليني أصاب بالجنون لو انسقت وراء عاطفتي نحوك ، ولكني لا أرغب في أن يحدث لي هذا ، لأنه سيكون جنونا مطبقا ، وسنجد نفسينا في الجحيم . أنت امرأة رجل واحد فقط وهو مايبدو جليا في عينيك البريئتين .

كيف استطاعت " كاري " أن تمنع نفسها من خنقه وإبقائه أسيرها ؟ كان من الواجب عليها أن تشد قبضتها ، وتغرس أظفارها في باطن كفه حتى لا تركع على ركبتيها وتتوسل إليه أن يمنح نفسه ويمنحها فرصة . همست في أذنه :

- أنت لا تعرف مدى قدرتي .

خافت ألا تستطيع تحمل نظرة الحنان في عينيه والرغبة الجامحة التي تعتمل داخلها وداخله ، فهزت رأسها علامة النفي . قال :

- إن حياتنا لن تسير على مايرام بسبب الحياة التي أحياها وبسبب تجربتي السابقة . لقد أقسمت ألا أقدم وعداً لا أستطيع الوفاء به .

قبل عنقها لآخر مرة وكأنه يحتفظ بذكرى طعم بشرتها :

- يجب عليك أن تعثري على شخص آخر يا " كاري " ، فأنت في حاجة إلى رجل في حياتك ولن أكون هذا الرجل .

* * *



# الفصل السابع

قالت " كاري " في نفسها : " الملعونة " استيل " وهي تعود إلى سريرها لتقضي ليلة طويلة .

لقد اقتنع " كيرك " بسببها أنه لن توجد امرأة يمكن أن تتعايش مع طريقة حياته التي تعتمد على الرحيل المستمر . ولاشك أن هذا سلوك غير رشيد ، ولكن فظاعة طلاقه تركت آثارا عميقة . لقد أصبح لديه إحساس بأنه لا يوجد شيء يمكن إقناعه بخطأ تفكيره . أخيرا بدأ يظهر أمامها لغز ذلك الرجل . لأن سلوكه حقيقة يظهر واضحا في أنه أصبح كالصخرة يصعب اختراقها .

نهضت في صباح اليوم التالي ، وقد تورمت عيناها ، أحست بالخلاص عندما لم يظهر " كيرك " على الفطور ، ولكنها لم تكن قادرة على ابتلاع أي شيء ، بعد أن تناولت بصعوبة نصف قدح من القهوة ، ذهبت لتلجأ إلى المكتب.

وضعت ورقة في الآلة الكاتبة بيد حاسمة ، وحاولت أن تقضي الوقت حتى لاتنساق وراء أفكارها التي كانت تائهة في طرق خطرة ومؤلمة . ولكن دون جدوى.

لايمكن أن يكون هناك ما يمحو ذكرى الليلة الماضية .

تبين لها أن " كيرك " عمل بهمة ونشاط في الليلة الماضية عندما تركها ، فقد قام بمراجعة جميع الفصول التي سبق أن كتبتها في الليلة قبل السابقة . كان قد شطب سطورا كاملة بعنف وغضب ، فضلا عن أن كتابته الجديدة ازدادت غموضا وصار من المستحيل حلها . عندما حاولت إعادة كتابة ماأصلحه وحل رموز كتاباته الجديدة ، أصيبت بصداع حاد . وعندما وقفت لتذهب بحثا عن الأسبرين سمعت طرقا على الباب . بعدها دخل السير " تشارلز " . قال لها بصوته المميز :

- أتعشم ألا أكون قد عطلتك عن عملك، وأريد أن أتحدث معك حديثا شخصيا.

بدأت " كاري " الرد بصوت متعب :

- إنني مشغولة للغاية ...

أمّن على كلامها وهو يتقدم داخل الحجرة .

– يؤسفني أن أزعجك ، ولكن لابد أن نتحدث معا بضع ثوان .

أزاحت "كاري" آلتها الكاتبة بحركة فيها ضجر ونفاد صبر ، وتحولت ناحيته: – ما الأمر ؟

بدا القلق على وجه السير "تشارلز" :

– حسنا ! ... إنه يخص ... ابنتي "ليديا" .

بدأ ارتباكه يزداد ، وأخذ يمسح جبينه بالمنديل . كان من الواضح أنه يود لو أنه كان على بعد آلاف الأميال من هذا المكان .

قالت له "كاري" :

– قل لي بصراحة ، ماالذي يشغل بالك ؟

– حسنا . لن أضطر إلى اللف والدوران . أود أن ترحلي وتعودي إلى إنجلترا .

ظلت "كاري" لحظات وهي مذهولة . كانت تتوقع أي شيء إلا هذا . ثم فجأة أخذ كل شيء يتحرك أمامها من مكانه .

كتمت ثورة الغضب التي اعتملت داخلها .

– إذن "ليديا" لم تعد تتحمل المنافسة ، أليس كذلك ؟ لو كان عمري أكبر عشرين عاما ، وكنت قبيحة مثل البومة لما وقعت هذه المحادثة . أليس كذلك ؟

كان السير "تشارلز" على درجة من اللياقة حتى استطاع أن يتحكم في نفسه ثم هز كتفيه :

– كي أكون أكثر صراحة أنت على حق . فأنت جميلة للغاية ، وحضرت كي أحل المشكلة فقط .

– فيما يتعلق بي لا توجد أية مشكلة . فأنا أعمل عند السيد "كيرك" الاندر وهذا هو كل مافي الأمر .

مسحت من ذاكرتها ذكرى الليلة الماضية وشفتي "كيرك" الحانيتين الدافئتين فوق رقبتها . كل علاقة بينهما لم تعد موضع مناقشة . ولقد قال لها "كيرك" ذلك بكل صراحة قاتلة ، وهي بذلك لم تكذب على السير "تشارلز" . الذي نظر إليها نظرة ماكرة :

– إذا لم تكوني سوى سكرتيرته المرافقة فلن يهمك إذن لو عدت إلى إنجلترا! كيف ترد على هذا ؟ لقد حول كلماتها ضدها . أحست بعاطفة خانقة ووجدت



نفسها عاجزة عن اختلاق الأعذار للبقاء في المعسكر . اعترضت بضعف :

– إنني لا أحب أن أترك عملي دون أن يتم .

وقد بقي الكثير للانتهاء من كتاب "كيرك" .

قال السير "تشارلز" :

– ليست هناك مشكلة فأنا على معرفة وثيقة بالآنسة "هافرشام" وسألحق بها في القريب العاجل ، وأطلب منها إرسال من تحل محلك ، دون ذكر أية تفاصيل. وأنا واثق من أنها ستجد من يقوم بالعمل .

كم كانت الأمور سهلة أمام السير "تشارلز" .

أحست بالثورة لوجودها في تلك المحادثة التي لم تكن في صالحها ، واستعدت أن تدخل في مناقشة حامية عندما انتصر عليها العقل .

ما فائدة الصراع من أجل البقاء هنا ؟ ماالذي ستجنيه سوى المعاناة دون جدوى؟

من المؤكد أن لحظة إعدادها حقائبها كي تترك "كيرك" ستكون لحظات رهيبة .

ولكن لو انتظرت حتى ينتهي الكتاب فلن يكون الأمر سهلا ، ولن يتم قبل مرور أسابيع . ومن الأفضل إذن الرحيل ، كانت قد بلغت حدا من التعب جعلها تستسلم . مافائدة استمرارها في العذاب إلى أن تسقط ؟

أخيرا قالت :

– حسنا جدا . اتخذ ما تحبه من إجراءات .

أعلن السير "تشارلز" :

– لن تندمي على ذلك أبدا ، وسأجعل الأمر يبدو أمام الآنسة "هافرشام" وكأن رحيلك المفاجئ لا صلة له بكفاءتك في العمل . وستحصلين – بالتأكيد على مكافأة مالية مجزية من جانبي .

نظرت إليه نظرة احتقار وقالت :

– إنني لا أريد نقودك .

أظلم وجه "تشارلز" وسارع بالقول :

– أرجو المعذرة .. لقد خانني التوفيق في القول .

ثم استمر في الحديث بلهجة أكثر هدوءاً :

– إن "ليديا" هي كل ما أملكه في الدنيا .لقد ماتت أمها منذ وقت طويل ،

ولا يوجد عندي أبناء غيرها . لقد دللتها كثيرا ، حتى أفسدتها ، ولكني أحب ذلك كثيرا ، أتستطيعين فهم ذلك ؟ إنني أبذل قصارى جهدي كي أحقق لها كل ما ترغبه . وفي هذه اللحظة ما تريده هو " كيرك ألاندر " .. لست أدري ما الذي تفكر فيه ، وهل انجذابهما إلى بعضهما مؤقت أم متبادل ؟ ولكني أتصرف بطريقة تسهل الأمور أمام " ليديا " . وإذا تطلب ذلك إبعاد كل الفتيات الحسناوات من طريقه ، فلن أتأخر في ذلك . يجب أن يقضي "كيرك" و "ليدي" بضعة أيام معا دون تدخل مهما كان . وحيث إنك جميلة للغاية يا آنسة " شيبرد" فلن أسمح لك بالبقاء هنا .

لم تمنع " كاري " نفسها من الشعور بالشفقة نحو هذا الرجل البائس . قالت له برقة :

– إنك مخدوع . لأنك لا تخدم " ليديا " عن طريق محاولة تسهيل الأمور أمامها بهذه الطريقة .

– إنها طريقتي لإظهار حبي لها . ربما تتفهمين موقفي يوما ما عندما ترزقين بأطفال .

نظر إلى ساعته :

– لابد أن أرحل . وأشكر لك حسن تفهمك يا آنسة " شيبرد " .

ظلت " كاري " بعد رحيله أمام الآلة الكاتبة وقد هدها التعب تماما ، وعلى أية حال هناك أمر واحد مؤكد : إذا حدث في يوم ما أن رزقت بأطفال فإنها لن تتصرف تصرف السير " تشارلز كنج وود " ، فستسمح لهم أن يعيشوا حياتهم حسب رغبتهم وأن يخوضوا معركتهم بأنفسهم ، وليس كما تفعل " ليديا كنج وود "

مافائدة أن تجري إلى والدها وهي في تلك السن كلما قابلتها مشكلة أيا كان حجمها أو تملكتها رغبة طائشة ؟

وهذا الأب المسكين الذي يخوض المعارك من أجل مغامرات ابنته الغرامية ، ياإلهي .. ياله من أمر يثير الشفقة..

تمددت بكامل ثيابها منهكة حتى أنها استغرقت في النوم العميق فورا .

وفي اليوم التالي جاء أحدهم يهزها بعنف في سريرها فاستيقظت مذعورة



وانتفضت في السرير .

– استيقظي يا " كاري " .

هل كان صوت " كيرك " ؟ غير معقول . ولكن لا .. من المستحيل أن تخدع في صوته .

قالت له وهي تتلعثم :

– ماذا تصنع هنا في منتصف الليل ؟

صحح لها كلامها :

– إنه الصباح .. إذا أردت الحضور معي فيجب أن تكوني مستعدة في خلال عشر دقائق .

دعكت عينيها وتساءلت عما إذا كانت لا تحلم . أجابته في لهجة ملتوية :

– أذهب معك ؟ ولكن إلى أين ؟

– سترين ، وأتعشم أن ما سنقوم به سيمحو كل اللحظات التعسة التي حدثت لك منذ وصولك .

رفعت عينيها ، ولكنه كان قد توجه ناحية الباب .

نهضت وهي لا تعرف ماذا تصنع . قامت بتزيين نفسها ، ولبست ملابس نظيفة.

عندما مشطت شعرها وهي تنظر في المرآة ، بدا الامتعاض على وجهها . تذكرها قبل أن يغادر الغرفة بأن أمامها عشر دقائق فقط.

وضعت بعض " البودرة " على خديها وحددت حاجبيها ورموشها كي تخفي كل ماظهر على وجهها من إرهاق . ثم أسرعت كي تلحق بـ" كيرك " وقد بلغ بها الشوق لأن تعرف أين سيذهبان ، أصابتها الدهشة عندما وجدت السير "تشارلز" يظهر في حجرة الطعام . وقد بدت عليه التعاسة . غمغم وهو يقول لها :

– إنني لست على اتفاق معك !

لما لم يكن لديها أدنى فكرة عما يقوله وما يعذبه، فإنها لم تجب . وصبت لنفسها القهوة ، وكانت على وشك أن تضع الزبد على قطعة الفطير. عندما دخل "كيرك" أعلن لها :

– ليس لدينا وقت للفطور . سنأكل فيما بعد ، يجب الرحيل فورا حتى لا نتأخر. – نتأخر ؟ نتأخر عماذا ؟

قال السير " تشارلز " وهو ممتعض :

– ستحلين محل " ليديا " في هذه الرحلة . إنها فكرة " كيرك " وليست فكرتي. – ولكن إلى أين سنذهب ؟

– أعتقد أنه يريد أن يقدم لك مفاجأة ؟

– ولكن لماذا لم تذهب " ليديا " ؟

قال " كيرك " :

– إن هذه المجنونة عرّضت نفسها طويلا لأشعة الشمس وقد أصيبت بالالتهاب.

– ألا يجب أن يظل أحد هنا للعناية بها ؟

كانت تدعو الله ألا يتم تكليفها بهذه المهمة .

– سيقوم بذلك " فيرجاس " ، والأمر ليس بخطير . إنها تعاني صداعا حادا فقط ، وبعض ضربات الشمس الخفيفة . وستسترد صحتها بعد يومين على أكثر تقدير .

هذا إذن سبب ضيق السير " تشارلز ". لم تستطع " كاري " أن تمنع الفرحة من أن تتصاعد داخلها . نعم لن تستطيع " ليديا " أن تأتي معهما ، ولا تستطيع أن تلعب دور الحيّة ، وهي مصابة بضربة الشمس .

صعد السير " تشارلز " إلى المقعد الأمامي من السيارة بجوار " كيرك " تاركا لـ " كاري " الأريكة الخلفية . كان الأمر بالنسبة لها مستويا .

يمكنها هكذا أن تتأمل عنق " كيرك " الجميل وخصلات شعره السوداء المتناثرة، وكتفيه العريضتين ، وحركات يده الرقيقة .

كانت تعرف بالتخمين أين هم ذاهبون ، ولكنها أحست بالضياع التام عندما اختفى المعسكر عن أنظارهم في السماء الباهتة فترة الصباح الباكر .

بعد وقت ماظهرت الشمس فجأة لاحظت " كاري " جسما متحركا عند الأفق . استمرت السيارة في سيرها ، وانتهى الأمر بها أن ميزت سيارة لوري كبيرة ، وسيارة " جيب " وعدة أشباح لرجال ، وشيئا ما مربعا مربوطاً بقطعة قماش



كبيرة ، وبعض الأوراق المجعدة .

قال " كيرك " وهو يلتفت إليها :

– حسنا .. هل خمنت ماذلك الشيء ؟

لم تصدق " كاري " عينيها . قالت أخيراً :

– إنه بالون .. هل ستطلق بالونا ؟

– إنك تعنين بالضبط أننا سننطلق داخل البالون .

انتفضت في مقعدها :

– نحن ؟

– لقد نظم " السير تشارلز " هذه الرحلة من أجله ومن أجل " ليديا ". ولن نلغيها بدعوى أن " ليديا " كانت من الغباء بحيث تصاب بضربة شمس . لذلك أقنعت السير " تشارلز " أن تحلي محلها .

تذكرت " كاري " الحديث الذي دار الليلة الماضية بينها وبين السير " تشارلز ". فقد كان من السهل عليها أن تفهم الثمن الفادح الذي دفعه السير " تشارلز " للموافقة على تلك الفكرة . ولكنها كانت تعرف من ناحية أخرى كم هو مستحيل إجبار " كيرك " على العدول عن قراره .

سألت وهي حائرة :

– وماذا يصنع هذا البالون في هذه الأحراش ؟

– نحن الآن في المنطقة السياحية ويوجد العديد من مجموعات الرحالة ، وهذه طريقة جديدة لمشاهدة الحيوانات .

بدأ الرجال في فرد البالون . خرجت " كاري " من السيارة ، وأخذت تراقبهم وهي مسحورة من لسان اللهب الذي كان يخرج من جهاز الاشتعال بصوت يشبه الفحيح ، ويرسل الهواء الساخن داخل البالون الضخم المصنوع من النايلون الرقيق . كان وسط الرجال السود الملتفين حول البالون رجل أبيض .

كان رجلا ضخما أحمر اللون ، يشرف على العملية وهو يصرخ بالأوامر ، رغم خليط اللغات المستخدمة ، كان واضحا أنه يفهم جيدا مايقال .

صاح وسط الضجيج .

– صباح الخير يا " كيرك ". لقد اخترت الوقت المناسب والجو رائع !

شرح " كيرك " الأمر لـ " كاري " و " تشارلز " .

– لهذا السبب كان لابد من الحضور مبكرين .

لم تكن قد سمعته وهو يقترب ، فانتفضت في مكانها ، ظهر بجوارها بجسده الفارع الجذاب حتى وسط هؤلاء الرجال ذوي الأجسام الرياضية .

– عندما تصل الشمس إلى كبد السماء سيبدأ الهواء الساخن في التصاعد ، ويجعل تحليق البالون أمراً مستحيلا . كلما كان الوقت مبكرا أصبح الهواء حول البالون أكثر برودة ، ولا توجد ريح قوية وستصبح الأحوال مثالية للتحليق .

تابع حديثه وهو يشير إلى الرجل الأحمر :

– بالمناسبة هذا الرجل يدعى " ديف ستانتون " وهو مثل جميع رواد الفضاء مجنون بعض الشيء ولكنه الشخص الوحيد الذي أمن إليه في الصعود إلى السماء في أحد تلك البالونات التافهة .

صاح " ديف " وهو يضرب ظهر " كيرك " :

– هل تهين بالوني ؟

– إنني أشرح لـ " كاري " لماذا انتزعتها من سريرها في الفجر .

سألت " كاري " وهي خائفة بعض الشيء :

– كيف سنصعد للهواء ؟

قال " ديف " :

– هذا أمر سهل ؛ كل الرجال الذين يمسكون بالحبال سيتركونها ، وبعدها نصبح في الهواء .

بدأت " كاري " تندم على حضورها :

– ولكن ماذا سيحدث عندما نصبح في الفضاء ؟

– سنترك أنفسنا حسب الريح فلا توجد عجلة قيادة ، ولافرامل . وسنترك أنفسنا حتى لحظة الهبوط . هذا كل مافي الأمر .

– ولكن الهبوط هو الذي يقلقني في الحقيقة وليس الصعود .

قال " ديف " :

– ليس هناك مايدعو إلى القلق . هل ترين هذه الشاحنة ؟

ألقت " كاري " نظرة على الشاحنة التي أشار إليها . واصل " ديف " حديثه :



– " حسنا . إن رئيس عمالي " سيريلي " ذلك الضخم هناك سيتبعنا في هذه الشاحنة مع الرجال الآخرين ، عندما نهبط سينتظروننا جميعا ، وسنحتفل بعد ذلك بالمشروبات اللذيذة ، لايوجد أي خطر . وإني أعدك بذلك ، لقد صعدت بالبالون مئات المرات ، ولم تحدث لي حادثة واحدة . غير أنه في مرة أواثنتين .. قاطعه " كيرك " وهو يهدده :

– كفى ! احتفظ بالتفاصيل الدموية فيما بعد .

– حسنا ! أرجو المعذرة .. يجب أن أراجع التفاصيل النهائية .

استدار وجرى ناحية بالونه . ومرر " كيرك " أصابعه في شعره ليمشطه . زادت قوه ضوء الصباح وأضاءت تقاطيع وجهه . لاحظت " كاري " بقلق أنه كان شاحبا .

– هل صحتك بخير ؟

– لابأس . إنني أعاني بعض الصداع النصفي فقط . هل تخشين ماكينة البالون .

اعترفت بأنها فعلا خائفة بعض الشيء .

كان البالون قد انتفخ تقريبا . وأصبح يلمع في ضوء الشمس .

– لايوجد أي خطر . لقد استخدمنا بالون " ديف " عدة مرات لالتقاط الصور الجوية وهو يعرف عمله . وأنت تعلمين تماما أنني لا يمكن أن أعرضك للخطر من أجل أي شيء في العالم .

لم تكن " كاري " تنتظر هذا الاعتراف من " كيرك " ولكنها تأثرت تأثرا بالغاً حتى أنها لم تستطع الكلام . شعرت بالخجل لأن عينيها امتلأتا بالدموع ، فاستدارت ونظرت بثبات إلى البالون .

أخذت تفكر: " لم يكن من الواجب أن أحضر " .

لقد كنت في غاية الغباء ، بعد يومين ستحضر من ستحل محلي ، وسأرحل إلى إنجلترا ، ولو كان لدي ذرة من العقل لتجنبت لقاء " كيرك " وجها لوجه بقية فترة وجودي .

ولكن حدث الأمر بسرعة كبيرة ، لقد انتزعها من السرير وأحضرها هناك قبل أن تعي مايحدث .

والآن هاهما سيطيران معا في البالون .

وإذا كان قلبها سعيدا بتلك اللحظات من السعادة المشتركة فإن عقلها بدأ ينتابه القلق الشديد .

من المؤكد أن باستطاعتها أن تحتفظ بتلك الذكريات في ذهنها ، وأن تنعم باسترجاعها خلال سنوات الوحدة الطويلة التي تنتظرها .

ولكن ذلك سيزيد من مرارة الفراق .

صاح " ديف " :

– نحن تقريبا جاهزون فاركبا بسرعة ، فمن الصعب الإمساك بالبالون بعد ملئه. وقف " ديف " وسط سلة البالون وأخذ يحرك ماسورة الهواء ببراعة ويوجه البخار الحار إلى منتصف قبة البالون الذي بدأ يرتفع عن الأرض ، بعد أن أمسك به حوالي عشرة رجال .

ساعد " كيرك " " كاري " على الصعود ثم قفز برشاقة بجوارها ثم ألقى نظرة حوله ثم سأل :

– أين السير " تشارلز " ؟

– إنه لم يحضر وقد غير رأيه . عندما كنا نملأ البالون بالهواء أصابته نوبة سعال . وقد اصطحبه أحد الرجال إلى المعسكر بالسيارة الـ " جيب " .

كان باستطاعة " كاري " أن تشاهد عن قرب العمليات التي كان يقوم بها " ديف " . كانت ترى شعلة كبيرة من النيران تتصاعد حتى تختفي داخل قبة البالون . همست وهي تلتصق بـ " كيرك " :

– هل أنت واثق بأن النار لن تمسك به ؟

– إن باطن الغلاف مزدوج ومبطن بطبقة من القماش غير القابل للاشتعال . ولايوجد أي مجال للخطر أبداً .

أنبت " كاري " نفسها على خوفها الذي لامبرر له وتركت ذراع " كيرك " .

مهما حدث فيجب ألا تلمس ذلك الرجل ولكن كان من المستحيل أن تتحرك في تلك السلة الصغيرة دون أن تصطدم به .

خرجت آخر دفعة من النيران وأحست أن البالون يصعد بأقصى قوته منتزعا نفسه من قبضة الرجال ، وانطلق نحو الأفق كأنه عصفور بعد أن أمر " ديف " الرجال بإطلاق سراحه . كان ارتفاع البالون عظيماً ، وبدأ بطيئا ثم أسرع بعد ذلك . بدأت الأرض تبتعد وأحست " كاري " بالدوار . وبعد ذلك بدأت تتابع



المناظر الرائعة في صمت .

وعندما استدارت نحو " كيرك " كي تشاركه سعادتها هبط حماسها عندما رأته، فقد أصبح وجهه كئيباً وقاتماً بينما التمعت عيناه بلهيب محموم يثير القلق.

لكن قبل أن يتاح لها الوقت كي توجه له بعض الأسئلة ، لمس " ديف " ذراعها . وقال لها وهو يشير بإصبعه إلى البحيرة الصغيرة عن يسارهم :

– انظري تحت هناك ؟

بدا نصف وجه البحيرة مغطى بسجادة وردية وكأنها غطيت بعدد لايحصى من الأزهار الاستوائية . اقترب زوجان من الضباع فطارت السجادة الاستوائية واستقرت في الناحية الأخرى من البحيرة بعيداً عن الضباع . قال " كيرك " وهو مسحور أكثر منها من المنظر الرائع :

– هذه طيور البجع الوردي طويلة الساقين . إن المرء لا يمل أبداً من النظر إليها. كان يتكلم بلهجة واثقة حتى أنها قررت ألا تعلق بأي تعليق حول صحته المعتلة . أولا ، لأنه لا يقبل المشاهد الدرامية حول مايعتبره أمراً تافها ، وثانيا لأنه سيقول دون شك إن الموضوع لا يعدو مجرد صداع نصفي .

جذب انتباهها في الحال منظر آخر ملأها حماسا ، بينما كان البالون يطير في صمت . رأت ثلاث لبؤات تتمدد في الشمس وحولها الأشبال . شاهدت أيضا البقر الوحشي وهو يرعى وقد أضفى عليه منظر فكه الطويل مظهرا مثيراً للأسى . في حين أخذت الضباع وابن آوى تلتهم الجيف بطريقة تثير التقزز . بينما كان الفهد يتجول بين الأعشاب الطويلة . وكأن جسده الممدود يتموج وهو يمشي في هدوء ورشاقة جعلت " كاري " تنظر إليه في إعجاب .

كانت مسحورة بالمناظر الموجودة في أسفل فانحنت على حافة السلة دون أن تحس بمدى الخطورة التي تتعرض لها ، وقد شرحها لها " كيرك " بعد أن أمسك بكتفها بقوة كي يمنعها من السقوط .

عادت فجأة إلى صوابها ، بعد أن سمعت صوت انفجار . أخذ البالون يرتفع بسرعة . ترك " كيرك " كتف الفتاة لينظر إلى " ديف " وقد بدا عليه أن فترة السحر قد انقضت .

من هذه اللحظة أصبح وجود " كيرك " معها مهماً بالنسبة لها . من المؤكد أنهما شبه ملتصقين في السلة الصغيرة ، الأمر الذي لم يمنعهما من الاحتكاك

ببعضهما رغما عنهما .

كانت كل هزة تقرب جسد كل منهما للآخر وأحست " كاري " بالعذاب والآلام، مرة في ردفيها ، ومرة في ساقيها ، عندما كان كوز أو ركبة " كيرك " تصطدم بها .

أطلقت زفرة تعبر عن الخلاص عندما أعلن " ديف " أنهم سيهبطون . كانت أعصابها مشدودة لدرجة أنها لم تكن تستطيع التماسك أكثر من ذلك .

اضطربت عندما مد لها " كيرك " ذراعه وهو يأمرها :

– امسكي بقوة عندما نصل إلى الأرض .

كانوا على ارتفاع أمتار قليلة من الأرض . لقد اختار " ديف " منطقة منبسطة كي يهبط عليها ، وكان قد ألقى الفرملة من فوق السلة كي تهدئ سرعة البالون .

اهتز البالون عدة هزات ، وأمسك " كيرك " " كاري " بقوة من وسطها كي تبقى في مكانها إلى أن تقف السلة تماما . سحب " ديف " بعد ذلك الحبل الأحمر الذي يغلق فتحه الهواء الساخن كي يسمح له بالخروج . عندما خرج الهواء تماما من البالون وبدأ يتمدد على الأرض خرجوا جميعا من السلة .

– حسنا إن ذلك يستحق الاستيقاظ مبكرا . أليس كذلك ؟

قالت " كاري " :

– أوه ! بلى . لقد كانت الرحلة خرافية .

– ألم تحسي بالخوف ؟

– إطلاقا .. بعض الخوف من الوقوف .

انشغل " ديف " ببالونه ، ونظر من خلف كتفه .

– لقد نسيت أن أخبرك يا " كيرك " ، لقد رصدت مجموعة جديدة من الكلاب الوحشية أمس وهي فصيلة صغيرة مكونة من أربعة أو خمسة كلاب وبعض الجراء .

سأله " كيرك " وقد بدا عليه الاهتمام :

– على أي بعد ؟

– على بعد عدة كيلو مترات من الشمال ، ولكنها كانت تجري . وأعتقد أنها كانت تتجه ناحية التلال التي تراها هناك أمامك .

ارتفعت خلفه عاصفة من التراب .



– هاهي ذي الشاحنات ، وستصل في غضون دقائق قليلة ، ونستطيع أن نتناول الغداء في المعسكر .

قال " كيرك " :

– لست جوعان . عندما تصل السيارة الـ " لاندروفر " سأتجه فورا إلى الشمال كي أرى آثار هذه الفصيلة . سيهتم " ديف " بك يا " كاري " وسينقلك إلى المعسكر .

أجابت دون أن تهتم بالجوع الذي أخذ ينهش معدتها :

– وأنا كذلك لست جائعة . هل يمكنني مصاحبتك ؟ وعلى أية حال فأنت في حاجة إلى إملاء بعض الملاحظات إذا لحقت بالكلاب الوحشية .

لم يكن المبرر مقنعا . كانت النظرة إلى وجه " كيرك " كافية لمعرفة أنه سيرفض الطلب . ولكن " ديف " تدخل قائلا :

– ليس لدي وقت لاصطحاب " كاري " إلى المعسكر . إنني آسف ولكن لدي الكثير من العمل في القاعدة ، ويجب أن أنتهي منه اليوم ، لأن أمامي مجموعة من السائحين حجزوا لرحلة الغد .

بدا الضيق على وجه " كيرك " ، ثم مسح على جبهته بظهركفه بحركة متعبة . أخيرا قبل وهو مجبر :

– حسنا يا " ديف " ، أعرف أن جدول مواعيدك مزدحم . تستطيع " كاري " أن تأتي معي .

أحست " كاري " بشعور النصر يجتاحها .

نعم لقد كان هذا اليوم يوم نصرها الحقيقي وليس هناك من يضايقها ، لا "ليديا" ولا " تشارلز " وسيصير " كيرك " كله لها خلال ساعات طويلة وثمينة .

من المؤكد أن رحيلها بهذه الطريقة هو الجنون بعينه ، ولكنها لم تهتم ، إنها اليوم لن تهتم بالعقل والرزانة . إنها اليوم ستحصل على مايملأ ذكرياتها بقية العمر ولياليالغد الموحشة .

وصلت أخيراً الشاحنة التي كانت تتبع البالون وكانت تتبعها الـ " لاندروفر " الخاصة بـ " كيرك " ويقودها أحد رجال " ديف " . أخذ " كيرك " مكان الرجل بسرعة ، بينما شكرت " كاري " " ديف " على رحلته الرائعة قبل أن تجلس بجوار " كيرك " . فتح " ديف " شاحنته ، وجرى ناحية الـ " لاندروفر " ثم وضع

شيئا ما تحت المقعد الخلفي وقال :

– إذا شعرتما بالجوع ... وأتمنى لكما حظا سعيدا .

بدأت السيارة تجري في اتجاه التلال . بعد عدة لحظات قررت " كاري " أن تقطع الصمت .

– هل من المهم العثور على فصيلة الكلاب البرية ؟

– المشكلة أنها يمكن أن تختفي نهائيا . لقد اعتُبرت الكلاب البرية من سنوات مضت مزعجة ، وتعرضت للقتل بوحشية . والآن تهددها الأمراض . وإذا كانت هناك فصيلة جديدة منها في هذه الجهة فالواجب التأكد في الحال من أنها بصحة جيدة .

مرت السيارة فوق مطب خفي فهزها هزة كبيرة مما أفقد " كاري " متابعتها لسلسلة أفكارها . التصقت بمقعدها ، بينما استمر " كيرك " في سرعته الرهيبة. بدا عليه اليوم أنه فقد روحه المعنوية العالية والمعتادة .

لم يكن يهتم بالقيادة . بل إن " كاري " ضبطته مرات كثيرة وهو يغمض عينيه لعدة ثوان قبل أن يفتحهما فجأة كاشفا عن نظرة تزداد لمعانا لحظة بعد أخرى، وهو غير قادر على التركيز في الطريق المملوء بالحصى وهو يقطعه بسرعة فائقة وكأنما تنطلق الشياطين منه .

وبدأت تقلق لأمر آخر . ففي الوقت الذي كانت فيه الحرارة داخل السيارة معقولة كان العرق ينزل غزيرا ويغطي وجهه . في لحظة ما بدا وكأن النعاس قد غلبه فعلا وهو ممسك بعجلة القيادة ، وقد أغلق أجفانه . وكان لابد لها من أن تهزه بعنف كي يعيد فتح عينيه . ونظر إليها نظرة تائهة ، بينما بدت حدقتاه بلون شاحب للغاية . كان واضحا أن " كيرك " يعاني حمى شديدة .

أصيبت " كاري " بالجنون فنظرت من خلال النافذة . كان كل شيء صامتاً .

ولا يوجد أي إنسان على بعد كيلو مترات حولها : لم يكن هناك من تستطيع أن تطلب منه العون .

قالت في نفسها: " لن يحدث شيء "، وحاولت أن تسيطر على نفسها وتكتم الخوف الذي بدأ يتصاعد داخلها . ربما يعاني بعض الحرارة .



ومن المحتمل أن يكون قد أصيب بإحدى الحميات الاستوائية . ولكن هل هذه الحميات خطيرة ؟ وكم من الوقت تدوم ؟ وكيف تعالج ؟ أحست بالإعياء من كثرة الأسئلة التي تتردد في ذهنها حتى وصلت بها الحال لأن تتساءل عما إذا كانت تتركه يقود في هذه الحالة أم لا .

وجاءت هزة قوية فحلت المشكلة . كان أول شيء تفعله هو أن تقنعه بأن يترك عجلة القيادة قبل أن يتسبب في قتلهما معا . قالت بصوت حاد محاولة أن تجعله يبدو طبيعيا :

– إنني جائعة جدا هل من الممكن أن نقف بعض الوقت لنأكل شيئا ما ؟

توقعت " كاري " أن يرفض تماما كما هي عادته في العناد ، وأن يحاول اللحاق بهذه الفصيلة من الكلاب مهما كلفه الأمر . لن يقبل أبدا أن يفقد أثرها وأن يضيع تلك الثواني الغالية . ولكن يبدو أنه لم يسمعها . عندما كررت السؤال، اكتفى بالنظر أمامه لعدة ثوان ثم هز كتفيه :

– كما تريدين .. إنني أشعر بالتعب وأحتاج إلى بعض الراحة .

كان صوت " كيرك " غريبا وكان بطيئا وثقيلا بعض الشيء . قاد السيارة إلى مجموعة أشجار صغيرة ثم أوقفها .

أطلقت " كاري " زفرة ارتياح . كان هدفها الأول قد تحقق ، والآن عليها أن تهتم بالهدف الثاني . ولكن كيف تستطيع أن تصل إلى إقناع ذلك الرجل العنيد لدرجة الجنون بأنه ليس في حالة تسمح له بالقيادة ؟

أخذت تفكر بسرعة وسحبت من تحت المقعد الخلفي سلة الطعام الصغيرة التي وضعها " ديف " .

كانت تحتوي على لحم بارد وفواكه طازجة وزجاجتي شراب . كان منظر الطعام رائعا والشراب مثاليا لرجل يعاني الحمى .

همهم " كيرك " وهو يأخذ إحدى الزجاجتين ويفتحها .

– إنني عطشان للغاية .

بدا وكأن الشراب قد أعاد إليه بعض الحياة بعد أن شرب نصف الزجاجة ثم نظر إلى " كاري " .

– هل أنت غضبانة ؟ يبدو أنني نسيت سلوكي المتحضر ...

مسح عنق الزجاجة وناولها إياها .

ابتلعت " كاري " بدورها عدة جرعات ثم أعادت الزجاجة إلى " كيرك " . كان قد أنهى الزجاجة قبل أن تنتهي هي من تناول نصف وجبتها ورفض أن يأكل أي شيء مهما كان . أخذت الفتاة تصاب بالجنون شيئا فشيئا . إن الشراب لايتماشى مع الحمى ، وأصبح من المستحيل تكملة الرحلة . ولكن كيف لها أن تقنعه بالدوران إلى الخلف ؟

أفضل شيء هو الصراحة . تشجعت وتحولت نحوه . وكان نائما وقد استلقى على مقعده ووضع رأسه على يده وكأنه طفل صغير . ومع ذلك كانت على وجهه شبه ابتسامة ومن الصعب ملاحظتها . أخذت تفحص ملامحه التي كانت تعرفها جيدا : رموشه الطويلة وفمه الممتلئ ، وعنقه البرونزي .

ولكنها نسيت في الحال إعجابها وهي تلاحظ بعض العلامات المقلقة . كان نفسه سريعا ، وصدره يرتفع وينخفض بدرجة سريعة للغاية وكان قميصه كله مبللا بالعرق .

" هيا اهدئي ! ربما كان الأمر لايعدو أن يكون تعبا طارئاً ، وربما بعد النوم سيستيقظ وقد استرد عافيته " . كان بداخلها صوت يقول لها ألا تستسلم لمخاوفها ، وقد تمسكت بهذا الأمل الضعيف حتى لا تفقد عقلها .

مرت الدقائق ، وتلتها الساعات ، كانت تأكل الفواكه لمجرد تمضية الوقت وليس بسبب جوعها ، كانت الشمس في كبد السماء ترسل حرارة خانقة داخل السيارة رغم أنها كانت تحت ظل الشجر .

أصبح الوضع لا يطاق وانتهى الأمر بـ " كاري " إلى اتخاذ قرار : لايمكن أن يظلا هنا بعد ذلك ولابد أن يعودا مهما كلفهما الأمر .

لتنتظر الكلاب البرية ، وليذهب " كيرك " بعد ذلك للبحث عنها في مرة ثانية ! أمسكت ذراعه بلطف . كان جلده مبللا وساخناً ، وبدا عليه أنه لم يحس بلمسها إياه . أصاب الذعر المفاجئ " كاري " فهزته ونادت عليه عدة مرات ، ولكن دون جدوى .

ظلت عيناه مغمضتين حيث ظهرت لها الحقيقية بكل بشاعتها : إنه ليس نائماً ولكنه فاقد الوعي .



# الفصل الثامن

بدأ النهار بداية حسنة . كيف أمكنها الخروج من ذلك الكابوس ؟ كانت "كاري" ترتعد من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها . كانت بعيدة تماما عن الحضارة . لم يسبق لها أن أحست بمثل هذه الوحدة والعجز .

كادت تصرخ يأسا ، ولكنها استطاعت السيطرة على نفسها ، وأخذت تمسح عينيها بطرف كمها ، قالت في نفسها : " ماذا ينفع الصراخ وفقدانها لكل قوتها؟ لقد أصبحت حياة " كيرك " بين يديها ، وعليها أن تفكر ، وألا تظل تبكي كالطفل " .

كان واضحاً استحالة بقائهما في مكانهما فلن يحضر أحد للبحث عنهما قبل ساعات طويلة ، لابد أن " ديف " قد أرسل رسالة إلى المعسكر ليخطر الموجودين بأن " كيرك " رحل في صحبة " كاري " لمطاردة فصيلة الكلاب البرية ، ولن يعرف أحدأن سوءا قد وقع لهما قبل حلول الظلام عندما يكتشفون عدم عودتهما . والمهم الآن أن " كيرك " في حاجة إلى المساعدة .

إذن لا داعي للتردد . كان لابد لها من نقل " كيرك " من مكانه حتى تتمكن من القيادة . ولكن أي اتجاه تتجه نحوه ؟ لم يكن لديها أدنى فكرة لأنها طوال إقامتها الطويلة وحتى خلال هذه الرحلة لم تحاول أن تدرس الطريق .

أخيرا رأت أنها لو اتجهت ناحية اليمين مباشرة فلا بد أن تلتقي بأحد ليساعدها .

كانت متأكدة أنها قد تسير دقائق طويلة عبر هذه الأراضي المهجورة الوحشية دون أن تلتقي بأي مخلوق حي ، كانت تردد ذلك في نفسها ، في يأس وهي تجر ذراع الرجل الذي لايحس بشيء . تضاعف نشاط " كاري " بسبب الحمى التي أصابته ونفسه السريع .

تحرك حركة خفيفة وهمهم وهو لايزال مغمض العينين :

- " كاري " ! يا معبودتي !

وقف قلب " كاري " عن النبض ثواني وأحست بأن جسدها قد أصابته الحمى.

قالت في نفسها :

" كفي وركزي على المشاكل الملحة الموجودة أمامك ، فهذه اللحظة ليست للعواطف " . قالت وهي تنحني عليه :

– " كيرك " هل تسمعني ؟ لابد أن تترك مقعدك .

ظلت عيناه مغلقتين ورفع رأسه قليلا وغمغم :

– إن الجو حار هنا .

قالت له وهي تجره بكل قوتها :

– هيا . ساعدني كي أضعك في المقعد الآخر . فليس في إمكاني نقلك بمفردي، إنك ثقيل للغاية . هيا ابذل جهدا يا " كيرك " أرجوك حاول ..

بدا وكأن صوت " كاري " كان له تأثير خاص عليه . كانت تتكلم باستمرار وتقول مايعن لها من كلام ، وهي تأمل في أن تبقيه مستيقظا طيلة الوقت الذي ترغبه .

بدا الأمر صعباً وكأنه قد مر عليها دهر حتى أمكنها إخلاء المقعد الذي جلست عليه أمام عجلة القيادة . كان نفسها يتتابع سريعا ، وقد غطاها العرق بسبب المجهود الجبار الذي بذلته . ثم أخذت تبحث عن مفتاح " الكونتاكت " بيد مرتعشة . كان من المؤكدأنه لم يكن قد سبق لها قيادة سيارة " لاندروفر " ، فقد أخذت السيارة تصدر صوتا مزعجا عندما حاولت اختبار سرعة البدء . ولكن الأمر انتهى بسير السيارة ، وبعد لحظة تفكير ، قررت الاتجاه ناحية التلال الظاهرة أمام الأفق ، فقد كانت هي العلامة الواضحة وسط محيط من الأعشاب والشجيرات ، وهي تأمل أن تجد فيها أثرا للحياة . خاصة بعد التقدم السياحي في تلك المنطقة ، وقد تعثر على جماعة رحالة في مكان ما خلال عدة ساعات .

كانت تتفحص الأفق وهي تقود السيارة شبه يائسة ، بحثا عن أية علامة ، لاشيء !

وأصبحت الشمس لاتطاق . التصقت ملابسها بجسمها ، ولم تكن تجرؤ على تصور حالة " كيرك " ، ولكن ماذا تفعل ؟ الحل الوحيد هو العثور على منطقة يمكن فيها علاجه .



اقتربت التلال ، وأخذت ظلالها الزرقاء تقطع الأفق . ورغم تعب " كاري " لم تحاول لحظة أن تتوقف ، يجب أن تستمر حتى النهاية .لاحظت في هذه اللحظة أن خزان الوقود شبه فارغ .

أصبح الموقف حرجا . هل تستمر حتى ينفد الوقود على أمل أن تجد المساعدة في آخر لحظة ، أم الأفضل أن تتوقف على أمل أن تختار اتجاها آخر ؟

كانت نظرة منها على وجه " كيرك " شبه الميت كافية لأن تقرر ألا تقع في حالة الارتباك والذعر ، لابد أن تجد ملجأ ظليلا كي تجنبه الحرارة القاتلة وإلا ضاع منها .

ظهر أمامها مكان صخري ، مرتفع بعض الشيء حيث كان جانب منه محمياً من أشعة الشمس .

وقفت السيارة بعد أن أطلقت زفرة ارتياح عندما وصلت إلى الجانب الظليل منه. نظرت إلى " كيرك " المريض . كانت عيناه مفتوحتين على اتساعهما وبدا شبه ميت . همس :

– إنني أحس بالعطش .

لم يبق معهما سوى زجاجة الشراب الأخرى .

بعد لحظة تردد ، نزعت السدادة ، وقربت فم الزجاجة من شفتي " كيرك " وهي تدعو بصوت عال:

– ياإلهي أتوسل إليك ألا يقضي هذا الشراب على حياته .

لم يكن هناك أي شيء آخر ، على أية حال .

عندما انتهى من الشراب تناولت هي نفسها بضع جرعات كي ترطب جوفها وشفتيها الجافتين .كادت تموت من العطش ، ولكن المريض أهم .

ورغم أنها لم تكن تعرف شيئا عن الحميات ، إلا أنها كانت تعرف أنه من المهم كثرة السوائل .خاصة في حالته هذه التي فقد فيها الكثير من الماء ، ومن الممكن أن يموت من الجفاف .

مضت فترة مابعد الظهر ببطء وبدأت الظلال تمتد ، رغم شعورها بالارتياح لانخفاض درجة الحرارة ، فقد توجست شرا من مواجهة الليل ، بعد غروب

الشمس سيصبح الجو بارداً . ولا يحتاج الأمر إلى التخصص الطبي كي تعرف النتائج الرهيبة التي يمكن أن يؤدي إليها تغير الجو على حالة " كيرك ".

أغلقت " كاري " عينيها بعد أن استنفدت كل جهدها . كاد اليأس يخنقها .. آه لو استطاعت أن تفعل شيئا ! ولكن لا شيء ! لم يكن أمامها سوى حضور هذا الاحتضار البطيء .

عندما فتحت عينيها لثوان أطلقت صيحة رعب ونهضت فجأة .لم يكونا بمفردهما . حيث وقف أمام السيارة خيال واضح غير متحرك ، وكأنه تمثال .

كان رجلا نحيفا وطويلا ، بينما تجعد شعره المصبوغ باللون الأحمر الداكن .

وقد ارتدى مايشبه العباءة المربوطة عند أحد كتفيه . وقف الرجل يحملق فيها بعينين قاتمتين بينما أمسك بيديه قوسا ورمحا مشدودا . بدأت أسنان "كاري" تصطك .

عندما تقدم منها أخذت تتكمش على نفسها في مقعدها رغم إرادتها . أخذت تتلعثم وهي تقول :

– ماذا ... ماذا تريد ؟

أحنى رأسه وقد اتسعت عيناه في دهشة وكأنه طفل فرح بلعبته الجديدة . ثم نطق بعض الكلمات غير المفهومة بينما أخذت " كاري " تهز رأسها في يأس :

– أنا لا أفهم شيئا .

بدأ رعبها يقل شيئا فشيئا حيث كان من الواضح أن الرجل ليست لديه نوايا عدوانية .

فجأة واتتها فكرة أن جمال وجه الرجل ، ونبل تصرفاته .. نعم .. لابد أنه أحد محاربي الـ "ماساي" ، تلك القبيلة المكونة من شبه رعاة ومربي ماشية ، ولا يمتلكون ثروة سوى قطعان البقر . تولد عندها بصيص أمل . أشارت بإصبعها إلى " كيرك" . كان واضحاً أن المحارب لم يفهم شيئا . ومع ذلك انحنى فوق " كيرك " ليفحصه بانتباه وهو يهمهم ببعض العبارات .

بعد عدة ثوان اتخذ قراراً . نهض فجأة وابتعد عن السيارة بخطوات سريعة. أصيبت " كاري " بالجنون عندما فكرت أنها ستصبح بمفردها . أطلقت صرخة



يأس كي يقف .

استدار الرجل ناحيتها وأتى بحركة آمرة من رأسه . كانت الرسالة واضحة . إنه يأمرها أن تتبعه . أدارت محرك السيارة وهي تدعو الله أن يكفي الوقود حتى المكان الذي سيقودها الرجل إليه . بدا الأمر وكأنه حلم يقظة .

كان كل شيء غير حقيقي . هذا الجسد الأسمر المتفاخر ، وهذا الرمح ، والأشعة الذهبية للشمس ، وهي تغرب ، وذلك المريض الملقى بجانبها بلاحول ولاقوة .دُهشت وأحست بالسعادة لأن المكان لم يكن بعيدا .

خلف التلال تماما تجمعت بعض أكواخ لاتتعدى أصابع اليد الواحدة ، وقد أحاط بها عشب كثيف .

جعلها رجل الـ" ماساي " تمر خلال فتحة بين العشب ، ووجدت نفسها محاطة بجمهور أصابه الفضول . كان معظمهم من النساء اللاتي كن يرتدين عقودا كبيرة ، تملأ صدورهن بالحلي واللؤلؤ غير الحقيقي . شرح لهن الأمر .

فتح باب السيارة ونقل " كيرك " إلى كوخ صغير في آخر الساحة المغلقة . كان واضحا أن الكوخ غير مستعمل لما بدا عليه من سوء حال .

سارعت " كاري " وراء رجل الـ" ماساي " وقلل الحشد سرعتها . كانوا مفتونين بشعرها الأشقر ، عندما وصلت أخيرا إلى الكوخ الصغير وجدت أنهم قد أحضروا جلود حيوانات وفرشوها ومددوا " كيرك " فوقها ، بينما أخذت امرأة توقد النار .

كانت تسود ظلمة الكوخ رائحة غريبة ولكن ماذا يهم . على الأقل لقد وجدوا ملجأ للليل وأناسا قد يعرفون مكان طبيب .بشرط أن تفلح " كاري " في إفهامهم معنى كلمة طبيب . ركعت بجوار " كيرك " ولمست جبهته الملتهبة ، كان يبدو أن الحمى قد ازدادت عليه ، أحست بصمت مفاجئ حولها ، فرفعت رأسها ودخل الكوخ رجل عجوز فابتعد الجميع عن طريقه باحترام . كان شعره المجعد أبيض تماما ، وكانت نظرته حادة وثاقبة في آن واحد وأثرت على " كاري "

تأثيرا بالغا . انحنى على " كيرك " وفحصه بانتباه شديد . أخذ يدلك عنقه وصدره بعناية شديدة . ثم أخذ يتمتم بضع عبارات غير مفهومة ، فهمت " كاري " دون مشقة أنه يقوم بفحصه طبيا وفقا لطقوس قبيلة الـ" ماساي ".

أخيرا نهض العجوز ووجه بضع عبارات إلى الحاضرين الذين استمعوا له دون أن ينطقوا كلمة واحدة مع احترامهم الشديد له . لا شك أنه كان يحدثهم عن تشخيصه للمرض .

أحست " كاري " أنها على وشك الانهيار العصبي . تساءلت ما الذي سيحدث بعد ذلك وهل سيستمر في ترديد كلماته السحرية ؟

لم يتأخر الرد عليها . مرت عدة دقائق بعدها دخلت امرأة ، ومعها سائل أسود داخل ثمرة قرع العسل . نظرت " كاري " إليها نظرة مريبة ونظرت إلى العجوز قائلة :

- ماهذا .. وماذا تنوي أن تفعل ؟

كانت الإجابة فورية . أخذ العجوز ثمرة قرع العسل ورفعها إلى شفتي "كيرك" وجعله يبتلع بضع قطرات من السائل .

صاحت " كاري " :

- لا .. إنك ستسممه !

بذلت مجهودات يائسة وهي تحاول انتزاع ثمرة قرع العسل من يدي العجوز . ولكن امرأتين أمسكتا بذراعيها وهما تهمسان في أذنيها ، بينما هي تصارع للإفلات منهما . قالت وهي ترتعد :

- أنتم لا تفهمون . إنه غير معتاد على أدويتكم وقد يؤدي ذلك إلى قتله .

كان الوقت قد فات ، إذ أصبحت الثمرة خالية . أخذ أفراد الـ" ماساي " يخرجون واحداً وراء الآخر في طابور بطيء تاركين " كاري " مع " كيرك ". أخذت الفتاة تدلك جبهة " كيرك " بطريقة آلية وقد كانت مبللة بالعرق . وهي تحاول أن تضبط أية حركة تدل على تسممه . ولكن حالة المريض بدت مستقرة .

أصيب بحمى شديدة طوال الليل ونهار اليوم التالي . من وقت لآخر كانت النسوة يحضرن آنية قرع العسل مليئة بمشروب كان العجوز قد حدده لـ



" كيرك " . وكفت " كاري " عن منعهن ، إنه لم يمت ، ومن يعلم ، ربما هذا المزيج الغريب يشفيه ! على أية حال بالنسبة لها لم يكن بمقدورها إلا أن تسهر عليه . وليحاولوا شفاءه بأعشابهم وسوائلهم السحرية . كانت في وضعها الراهن على استعداد لتجربة أي شيء .

في الليلة التالية تركت النساء الـ"ماسايات" مخزونا من الأخشاب لإشعال النار باستمرار في وسط الكوخ ، كانت هناك ثقوب في سقف الكوخ تمنع اختناقهما من الدخان .

كان جزء من الحرارة يتصاعد مع الدخان . رغم الغطاءين الثقيلين فوق جسد " كيرك " إلا أنه أخذ يرتعش ، لم تجد " كاري " حلا سوى أن تنزلق بجواره ، والتصقت به كي يشاركها حرارة جسدها .

أحست بلذة غريبة شبه مؤلمة ، وهي تلتصق به . لم تكن قد أغلقت عينيها في الليلة الماضية وقد جلست فوق مقعد منخفض تستمع إلى تنفسه ، وضربات قلبه السريعة .

أما هذه الليلة فقد أحست بأنها منهكة بعد تلك الليلة التي قضتها ولم يغمض لها جفن . وهكذا استسلمت إلى النوم ، وقد أجلت إلى وقت آخر تلذذها بذكرى تلك اللحظة التي مرت كالبرق عندما ضمت جسدها إلى جسده .

أيقظها إحساس بالبرودة بعد بعض الوقت ، كانت النيران على وشك أن تنطفئ .

تخلصت من مكانها بحذر ، ثم ذهبت لوضع مزيد من الخشب .

كانت النيران تتراقص في الليل ناشرة حرارة لذيذة . لم يتحرك المريض حتى الآن .

أسرعت " كاري " بالانضمام إليه وأخذت مكانها السابق ملتصقة بالجسد الساكن . قطع صوته السكون .

- لماذا نشترك في سرير واحد يا " كاري " ؟ أين نحن بحق الشيطان ؟

كان قد استيقظ . رفعت " كاري " جسدها وهي تستند على كوعها وقلبها يدق بعنف ونظرت إليه . كانت النيران تضيء وجهه الذي بدت على ملامحه آثار

الحمى واضحة ولكن لأول مرة منذ مرضه غشيت عينيه نظرة صافية .

كادت " كاري " تصيح من السعادة : لقد هبطت حرارة الحمى ولن يموت !

ظل يتأملها بحدة غير عادية دون أن يتكلم ، وكأنه يراها لأول مرة .

شرحت له بقدر استطاعتها ماحدث وأين هما الآن ولكنه بدا وهو يصغي إليها بأذن شاردة ، وكأن تلك القصة لا تعنيه في شيء .

أخيرا صمتت " كاري " وهي تحس باليأس .

داعبت كتفيه بحركة لا إرادية . وعاد جلده إلى حالته الطبيعية . سألها وقد بدا عليه عدم الفهم :

– من خلع عني ملابسي ؟

همهمت وقد أحست بالحرج :

– إنه أنا التي قمت بذلك . كان لابد لي أن أبلك عدة مرات لأن جسدك كان ملتهبا ، ولم أقم بخلع ملابسك الداخلية ، وبذلك لم يجرح حياؤك .

كانت حركة التواء فمه التي تدل على التهكم اللاذع ، من الممكن أن تنتزع الدموع من عينيها التي تعبر عن خلاصها وفرحتها . لقد عاد إلى روحه المرحة. لمس " كيرك " ذراع " كاري " :

– إنك لم تجيبي عن سؤالي الأول : كيف حدث أن نمنا معا على سرير واحد؟

قال ذلك وهو يتأمل جلود الحيوانات التي كانا ممددين فوقها .

– لقد فعلت ذلك كي أدفئك ، فقد خشيت أن تصاب بالتهاب رئوي .

– أوه ! يالها من فكرة ممتازة . ولكني لم أشف تماما بعد وأحس بالبرد هنا . ألا يمكن أن تقتربي أكثر حتى لا أصاب بنكسة .

بعد لحظة تردد أطاعته " كاري " والتصقت به تماما . لف " كيرك " ذراعه حولها ودفنت رأسها في تجويف رقبته .

– إنني أحس إحساسا غريبا ، وكأنني في حلم . إنني من الضعف بحيث لا أستطيع أن أتحرك ، ولكن لدي إحساس غريب بأن حواسي كلها عادت إلى سابق عهدها . كيف تفسرين ذلك ؟

همست له :



– لقد كنت مريضا ومازلت تعاني الحمى .

ترك " كيرك " يده تسقط بنعومة فوق جسد الفتاة وقال :

– لقد أصابتني الحمى منذ اللحظة التي وقعت عيناي عليك أول مرة يا كاري" . وضع خده فوق خدها وهمس :

– ألا تحسين بأنني محموم .

أخذ قلب " كاري " يدق بعنف . فاغلقت عينيها وحاولت أن تطرد الأفكار المجنونة التي أخذت تدور في رأسها .

– هذا ليس بالأمر المعقول يا " كيرك " ! إنك مريض .

– إذن عالجيني ياعزيزتي . وأنت الشخص الوحيد القادر على ذلك . يجب أن تساعديني .ليس لدي القدرة .. إنني وحيد .

بدأت النيران تخفت وتتركز في شعلة واحدة ، اتسعت عينا " كيرك " . أمرها أن تخلع ملابسها ببطء فأطاعته دون مقاومة ، وأخذ يتأمل تفاصيل جسدها وقد التهبت الرغبة في كل جسده وجسدها فالتصقت به .

لم يكن قد سبق لها أن جربت الحب فأخذت تعترض ولكنه طمأنها . كان صوته ساحرا لم تستطع " كاري " أن تقاومه فغرقت في بحر اللذة .

أخذ يهمس لها بأنه كان يشتهيها منذ وصولها وأنه قضى الليالي سهدا وهو يفكر في لمساتها .

تنبهت " كاري " فجأة . لابد أنه يهذي . لابد أن ماتراه هو حلم ، وأن هذيان الحمى هو الذي جعله يتصرف هكذا .

تأكدت ظنونها عندما أخذ يرتعد ، ثم سقطت يداه بلا حراك . بدا وكأن كل مظاهر الحياة قد سحبت من جسده ، وأن مابذله من مجهود استنفد كل مالديه من قوة . غمغم بصوت ناعس ، وهو يدفن وجهه في كتف " كاري " :

– اعذريني .. إنني اشتهيتك دائما ولكني أعتقد أنني لا أستطيع ..

همهمت:

– هذا لايهم .

قال لها بصوت يغلبه النعاس :

– ولكن لا .. ولكن لايمكنني ...

أغمض عينيه ووجدت " كاري " نفسها وحيدة والرغبة تلهبها وتؤلمها وتحرق جسدها . لقد كانت على وشك اكتشاف عالم الحب السحري ، ولكن مرشدها تركها وسط الطريق.

كان " كيرك " ينام بعمق وتنفسه منتظم يجعل صدره يرتفع وينخفض على وتيرة واحدة . ابتسمت ابتسامة رقيقة : ياللغرابة ها هي ذي ممددة بجانبه ، وأحست بأن صلتها به قد توطدت أكثر مما لو كان قد مارس معها الحب . كانت كل لحظة من الليلة تشكل لها كنزا ثمينا من الذكريات ، ولم تحاول أن تتحرك حتى لا توقظه إلى أن ظهرت تباشير الفجر فتنهدت برقة . وخلصت نفسها بحذر من بين ذراعي " كيرك " . ستحضر امرأة "ماساوية" دون شك كي تعتني بالمريض . فارتدت ملابسها بسرعة .

نام " كيرك " فترة الصباح بأكملها فوق فراشه وقد تناثر شعره الأسود فوق ذراعه . أخذت " كاري " تجوب الحجرة ذهابا وإيابا عشرات المرات وقد ظهرت عليها العصبية الشديدة . تساءلت ماالذي سيحدث عندما يستيقظ ؟ لايمكن أن تسير الأمور في سيرها المعتاد بعد ماحدث بالأمس . لا بد أنه غير رأيه بالنسبة لمكانها في حياته . لأن كل الحواجز التي كانت تفصلهما قد انهارت عندما جذبها إلى بحر اللذة . وحتى لو أنه أوصلها إلى حافة الهاوية فإن ذلك لم يمنعها من التمتع بتلك الثواني غير الطبيعية .

مر منتصف النهار عندما بدأ " كيرك " يعطي علامة أنه لايزال على قيد الحياة، بدأ يتحرك ويحرك عضلاته اليابسة القوية ، ثم أطلق أنينا خافتا وفتح عينيه . أخذت " كاري " تختلس النظرات إليه ، ولكنها لم تقرأ في عينيه سوى التعب وعدم الاكتراث .. همهم :

– " كاري " ؟ ماذا حدث ؟ وأين نحن ؟

ماالذي حدث له إذن ؟ أخذ قلب " كاري " ينبض بشدة حتى أخذت تترنح . أحست بقلبها وكأنه جمرة داخل صدرها .. أوه .. لا . يستحيل ، لا يمكن أن يكون قد نسي بأي حال من الأحوال ما حدث بينهما في الليلة الماضية . ومع



ذلك لقد قالت له أين هما ، وكيف وصلا هناك ، وشرحت له كل شيء قبل أن تجتاحهما الشهوة .

أخذ في النظر إليها بنظرة تائهة غير مستقرة حتى أنه كان من الواجب عليها أن تنسحب حتى لا تصرخ في هستيريا . ولكن ها هي ذي الحقيقة العارية أمامها واضحة :

اليومان الماضيان مرا ولم يتركا أي أثر في ذاكرته . بالنسبة له لم يحدث أي شيء .

تحكمت بصعوبة في نشيجها وقالت له بتلقائية :

– إنك .. إنك كنت مريضا للغاية . لقد أصبت بحمى شديدة . لقد فقدت وعيك في السيارة الـ " لاندروفر " بعد رحلة البالون . لحسن الحظ اكتشفنا أحد رجال الـ "ماساي" وقادنا إلى قريته حيث قاموا بالعناية بك بنوع من مزيج الأعشاب الطبيعية .

– ليس لدي أية فكرة عما قدموه لي ، ولكن على أية حال فإنني أحس بتحسن شديد في صحتي . لو باعوا تلك التركيبة الصحية إلى معمل أدوية لحققوا من ورائها ثروة طائلة . منذ متى وأنا هنا ؟

– منذ يومين .

بدا وكأنه صعق وقال :

– إن آخر ما أتذكره أنني كنت قد أحسست بالمرض الشديد في السيارة ثم ... ثم .. فيما عدا ..

قطب جبينه وكأنه يبحث داخل ذاكرته .

بدا بصيص من الأمل عند " كاري " .

– عدا ؟

قال بلهجة متقطعة غير مركزة :

– لا شيء .. خليط من الأحلام الغريبة . لابد أنني أصبت بالهذيان .

أوشكت " كاري " أن تلقي بنفسها عليه ؛ لم يكن من حقه أن ينسى ويسرق منها تلك اللحظات من السعادة . ولكن جسدها لم يطاوعها ، وفقدت كل أمل لها.

أحست فجأة بأنها فارغة تماما من الداخل وكأن روحها ذابت واختفت في الفراغ .

من الأفضل لها أن ترى الحقيقة واضحة . لقد فقد ذكرى الليلة الماضية ، والفرصة ضئيلة كي يتذكرها . وباختصار لم يتغير أي شيء بينهما .

تلك الساعات التي قضتها بين ذراعيه لم تكن سوى وهم وحلم رائع وأجمل من أن يستمر .

والآن مضى ذلك الحلم وعليها أن تواجه الحقيقة المؤلمة . وهذا الرجل لن يريدها في حياته ، وبعد عدة أيام ستترك أفريقيا إلى الأبد . قالت له :

– نعم لقد كنت تهذي وربما نحن الاثنين كنا نهذي معا .

سألها بلهجة قلقة :

– هل كنت أنت مريضة أيضا ؟

أدارت له ظهرها بخشونة . لو رأى وجهها لبحث وحاول أن يعرف سبب امتلاء عينيها بالدموع فجأة . ياله من موقف قاس !

ففي الوقت الذي كانت تتمزق فيه ، ظل هو في مكانه هادئا ممددا في راحة دون أن يشغل باله بمعرفة ما إذا كانت تتمزق أم لا .

امتلأ قلبها بالشجن فولت مسرعة خارج الكوخ وهي تبكي سعادتها الضائعة...

* * *



## الفصل التاسع

جرت " كاري " حتى تقطعت أنفاسها دون أن ترى ماحولها . ولكن فجأة اصطدمت بشخص بشدة . كان " سيمون " الذي صاح :

– " كاري " ماذا تفعلين هنا ؟

قالت بصوت متقطع :

– " سيمون " ؟ و " فيرجاس " ؟

رد عليها الأخير قائلا :

– بشحمي ولحمي . لقد سعدنا للغاية بالعثور عليكما .. أين " كيرك " ؟

أشارت إلى الكوخ بإصبعها .

– لقد كان مريضا للغاية ، وكان مصابا بالحمى الشديدة ، ولكني أعتقد أنه تحسن كثيرا هذا الصباح .

– لقد بحثنا عنكما في كل مكان ، وقد أخبرنا طيار بأنه لمح سيارة "لاندروفر " في معسكر " ماساي " فحضرنا على الفور .

كان " فيرجاس " يتأمل وجه " كاري " المشدود الشاحب ، وقد بدا عليه القلق. قال لها :

– هيا اجلسي في السيارة الـ " لاندروفر " وسنذهب لإحضار " كيرك " ، ولا تقلقي على شيء واستريحي .

– لقد نفد منا الوقود .

– لايهم . لقد أحضرنا كمية كبيرة من الوقود . فلا تقلقي يا " كاري " ، لقد انتهت مهمتك وقد عانيت فيها كل أنواع المعاناة .

استطاعت الفتاة أن تجر نفسها بصعوبة حتى السيارة ، حيث ألقت بنفسها على المقعد وأغلقت عينيها . بعد قليل صعد " سيمون " بجوارها وقال :

– لقد ملأنا الخزان ، ونستطيع أن نرحل الآن .

سألته :

– و" كيرك " ؟

– إنه مازال ضعيفا ولكنه في طريقه إلى الشفاء وسيرحل مع " فيرجاس "

في سيارته " الجيب " لأنه يصر على السير حتى السيارة . وأنت تعلمين أن " كيرك " متى وضع فكرة في رأسه فلا يستطيع أحد انتزاعها منه .

– نعم . أناأعرف " كيرك " .

عندما قالت تلك الكلمات جرى في ذاكرتها سيل من الصور لذكريات حارقة ومؤلمة نفسيا أكثر منها جسديا .

– لايبدو عليك أن صحتك جيدة يا " كاري " ، وأتعشم ألا تكون عدوى الحمى التي أصابت " كيرك " قد أصابتك .

– لاشيء .. إنه مجرد تعب ، هذا كل مافي الأمر .إنني أحس صداعا قاسيا وأفضل ألا أتكلم .

– أغلقي عينيك وحاولي أن تنامي ، فأمامنا طريق طويل .

أغلقت عينيها وهي تعلم تماما أنها لن تستطيع النوم ، ولكنها لن تستطيع أن تتحمل أية محادثة .

لاشك أن " سيمون " ساحر وجذاب ، ولكنها لن تستطيع أن تقول له كلمة في حالتها هذه .

كانت طوال الرحلة تحاول أن تحث نفسهاعلى مقاومة رغبتها في الإسراع نحو " كيرك " حال وصولهم كي تقول له كل شيء حول مادار في قرية الـ"ماساي" . لاشك أن كل ماحدث لها ظلم بين . ولكن مافائدة مصارعة القدر؟

ثم ماذا ستقول له ؟ إنهما كانا على وشك ممارسة الحب ؟ ثم ماذا بعد ؟ ليس هذا بجديد . لقد حاول من قبل أن يغازلها . ولكن الفرق الوحيد أنه كان في تلك المرات قادراً على التحكم في نفسه وقت اللزوم .

ولكن ليلة أمس وتحت وطأة الحمى اجتاحته رغبته المحمومة . وهذا لايعني أنه يرغبها أيضا اليوم . لا .. دون شك .. إن وصل حكاية تلك الليلة لن يتأتى له النجاح . من الأفضل لها أن تنسى تلك الحادثة العارضة الجميلة .

لسوء حظها أنها لم تكن بالنسبة لها مجرد حادثة . لا، لم تكن كذلك – ومن مدة طويلة – مجرد قصة حب صغيرة ومراهقة للعملاق " كيرك ألاندر " ، إنما هي الآن عاطفة حقيقية ناضجة تحس بها تجاه الرجل .

وصلوا المعسكر متأخرين في المساء . نقلوا " كيرك " كي ينام ، ونصبت



" ليديا " نفسها في الحال ممرضة له ، وأعلنت عدم السماح لأحد بالاقتراب من حجرته . لم تحول عينيها عن " كاري " وهي تعلن أوامرها ولكن الأخيرة لم تعن حتى بالمناقشة . لتتمتع " ليديا " ما عن لها من تمتع ، فلن تحصل على فائدة من " كيرك " ، لا هي ولا أية امرأة أخرى . إنه ذئب وحيد ، وقد تعود على تلك الحياة منذ وقت طويل ، ولن يستطيع شيء على الأرض أن يحوله عنها .

ولاحتى " ليديا " المتأنقة .

رغم إنهاك " كاري " لم تكن بقادرة على النوم، فارتدت " صندلاً " كبيرا وقررت الخروج إلى الشرفة المهجورة . كانت تتأمل – وروحها شبه ميتة – الليل المقمر ، فأحست بصوت أقدام خلفها جعلها تقفز في مكانها . عندما استدارت وجدت نفسها وجها لوجه مع السير " تشارلز كنج وود " .

– آه .. إنه أنت يا آنسة " شيبرد " . لقد علمت أنك قضيت يوما رهيبا ولكني أود أن أقول لك كلمتين .

قالت له بصوت مسموع :

– ماذا تريد ؟

– لقد اتصلت بوكالة " هافرشام " وكعادتهم كانوا منفعلين للغاية . ستصل من ستحل محلك غدا صباحا . ورأيت أن من واجبي أن أخبرك بذلك لأنك دون شك تتمنين العودة إلى إنجلترا الآن وفي الحال .

تلقت الصدمة دون أن يتحرك لها رمش ، وقالت في صوت متعب :

– لا أعتقد ... لم أكن أتوقع أن يتم ذلك بهذه السرعة .

– لايوجد أي سبب للتأخير .. أليس كذلك ؟

– بلى . بلى . .ت على حق .

ماذا في إمكانها أن تجيب غير تلك الإجابة ؟ قال السير " تشارلز " بلهجة لا تدع مجالا للاعتراض :

– إذا كنت على استعداد للرحيل غدا صباحا فسيصحبك " سيمون " إلى المطار ، وترحلين على نفس الطائرة التي ستحضر بديلتك .

أخذت بوادر الثورة تصعد داخلها .. كيف يتجرأ هكذا على التحكم في حياة الآخرين ؟ ولكنها هدأت في الحال :كل شيء أفضل بهذه الطريقة . من الأفضل

أن تسرع بالرحيل الآن وتتجنب جروحا جديدة . هزت رأسها وقالت :

– سأكون مستعدة .

قال السير " تشارلز " دون أن يحاول إخفاء ارتياحه :

– حسناً .. سينقل " فيرجاس " " كيرك " إلى المستشفى التابعة للبعثة غدا صباحا كي يتم فحصه ، وعندما يعود ستكونين قد رحلت وحلت محلك البديلة .

– أرى أنك رتبت كل شيء .

– لم أحاول أن أخدعك يا آنسة " شيبرد " . لقد شرحت لك سبب مسلكي . عندما ترحلين أتعشم أن يمضي " كيرك " بعض الوقت مع ابنتي ، وأن يستجيب لعواطفها .

كانت " كاري " أمام هذه القسوة التي لايحس بها السير " تشارلز " أن تنفجر وأن تفقد أعصابها ، لكنها اكتفت بهز كتفيها بلا اكتراث . ولماذا تنفعل؟ إن السير " تشارلز " ليس إلا أبا ضعيفا يستسلم بسهولة أمام نزوات ابنته الفاسدة ، مهما كان الدافع خلفها . ثم ماذا يدعوها إلى أن تثور ، إن عودتها في الحال إلى إنجلترا أمر لصالح الجميع ولصالحها في آن واحد ، على الأقل فإن رحيلها المبكر في صباح الغد أثناء وجود " كيرك " في المستشفى فرصة تجنبها آلام الوداع . قالت له :

– لاتخف فسأستقل تلك الطائرة .

– إنني سعيد لأنك تتمتعين بحسن الإدراك .

انسحب داخل المنزل تاركا " كاري " بمفردها في ظلام الشرفة .

تذكرت " كاري " أمام الظلال القاتمة المتناثرة في السهل القول الذي ردده عليها " كيرك " من وقت طويل :

" كم هو قاتم الليل ... "

في الحقيقة سيصبح ليلها هذا وغدها وكل يوم قاتماً بالنسبة لها .

* * *

عندما وقعت عينا الآنسة " هافرشام " على " كاري " لم تستطع كتمان دهشتها فصاحت :



– ياإلهي !.. يبدو أنك مريضة . هل هذا بسبب الجو ؟ أم بسبب الغذاء ؟

ردت عليها " كاري " ساهمة :

– لا . لا .. إنني بخير .

– لاشك أنك في حاجة إلى إجازة . لم نكن نتوقع حضورك قبل أسبوعين . لماذا لا ترحلين للراحة عدة أيام ؟

قالت " كاري " :

– لا .. شكرا . أريد أن أعمل .

لم يكن هناك بالنسبة لها أسوأ من أن تتمدد على رمال الشاطئ طوال النهار ولا تفعل سوى استعادة الذكريات المؤلمة .

– حسنا . إذا كنت تصرين . لقد اتصل هذا الصباح أحد رجال الأعمال الأمريكيين . وسيحضر مؤتمرا ويزور مصانع إنجليزية . كان معتمدا على اصطحاب سكرتيرته الخاصة معه . ولكنها اضطرت لإجراء جراحة لاستئصال الزائدة الدودية . هل يمكنك أن تقومي بهذا العمل ؟

كان من الواضح أنه لايهمها . ولكنها قبلت بسرعة هذا العمل أو غيره ... لابد أن الأمريكي سيكون رجلا ساحرا ، وسيحاول مغازلتها ، ولكنها ستصده وفي نهاية المهمة ستتركه وهي غير آسفة .

كان بصيص الأمل الوحيد في كل الفترة التي تلت حضورها هو مكالمة طويلة مع أمها التي بادرتها بالسؤال :

– ماذا حدث لك يا " كاري " وما السبب الرئيسي لمكالمتك ؟

– كيف استطعت أن تتنبئي ؟

– من السهل معرفة ذلك لأنني أعرفك . هل هناك رجل في حياتك ؟

اعترفت :

– نعم !

– أليس هو الرجل الذي تنتظرينه ؟

– بلى !

– إذن هو لايحبك ؟

– إنه لايريد ارتباطاً دائما .

– ياعزيزتي المسكينة .. لو لم أكن بعيدة عنك كل تلك المسافة . ألا تريدين الحضور لقضاء بضعة أيام معنا ؟ لدينا الآن المهرجان ، وقد يساعدك ذلك على النسيان .

خضعت للإغراء لحظة ، ولكنها زفرت بحزن !

– لا .. إنه مستحيل .. إنني أعرف أن الأمر انتهى ، وأعرف أنه لن يحدثني هاتفيا ولن يكتب لي ، ولكن يجب علي أن أظل هنا .

– هل أنت واثقة ؟

– ليس لهذا معنى .. أليس كذلك ؟

تنهدت الأم :

– هكذا يحدث دائما . فالحب هو أكثر الأشياء إيهاما في العالم . على كل فأنت تعلمين أن بإمكانك اللحاق بنا في أي وقت تسوء فيه الأمور ، وأرجو – على الأخص – أن تتصلي بنا إذا ماشعرت بالحاجة إلى ذلك . ولايهمك الثمن . يجب أن أتركك الآن ياعزيزتي . فأبوك يجرني إلى عشاء ممل للغاية وقد تأخرنا عليه ، ولا تنسي أننا نحبك كثيرا وفي انتظارك هنا إذا احتجت إلينا .

وضعت " كاري " السماعة . لماذا لم تقبل دعوة أمها ؟

لن يظهر " كيرك " أمامها أبداً . ومن السذاجة أن تظل في انتظار معجزة لن تحدث أبدا .

مرت الأسابيع وازداد ألمها يوما بعد يوم ، تساءلت في نفسها : " هل يمكن أن يقوم الزمن بعلاج الأمور ؟" لم تكن لها سوى رغبة واحدة ، أن تعود إلى الفراش وأن تستكين في سريرها وكأنها حيوان جريح . ومع ذلك وضعت زينتها على أكمل وجه ، وبعناية فائقة . لقد تعلمت فن إخفاء الألم عن طريق التزيين وكان هذا أيسر قواعد الأدب ، فليس الألم الذي تحسه بداع لأن تؤلم الآخرين ، وهي أيضا لا تتحمل شفقة الآخرين . إن الأمر كله مسألة كرامة .

عندما توجهت إلى الوكالة في يوم ما وجدت خبرا في انتظارها . قالت لها الآنسة " هافرشام " :

– أنت تعرفين – دون شك – مخدومك السابق السير " تشارلز كنج وود " . لقد طلبك بالاسم .



ذهلت " كاري " وقالت :

– السير " تشارلز " ؟

– إنه يظن أنك ستكونين مثالية بالنسبة للعمل الذي يقترحه عليك . إنه يمتلك منزلا في مقاطعة " كنت" ومئات الهكتارات من الأرض ، يريد أن ينشئ بها حديقة حيوانات . وقد تم تعيين المدير ، ولكنه في حاجة إلى سكرتيرة مرافقة لمدة تتراوح ما بين أسبوعين وثلاثة . مارأيك ؟

– لا أريد أن أعمل مع السير " تشارلز " .

– ولكنك ستعملين مع مدير الحديقة وان تري السير " تشارلز " تقريبا ، فبالنسبة للأعمال التي يقوم بها فإن تلك الحديقة لاتعني شيئاً بالنسبة لأعماله الأخرى . ألا تودين المحاولة يا " كاري " ؟ فالأمر يبدو مثيرا للاهتمام .

زفرت " كاري " زفرة ضيق . كانت في داخلها تحس بأنه لا أهمية لديها إن كانت تعمل لدى السير " تشارلز " أو غيره . لم تكن الليالي والأيام بالنسبة لها سوى سلسلة متلاحقة من الساعات التي تمر ، وكان العمل هو الخلاص الوحيد أمامها .

رحلت في الصباح المبكر لليوم التالي إلى " كنت " ، و بعد أن قطعت مسافة في الريف انتهى بها الأمر بالعثور على المنزل الكبير المبني من القرميد الأحمر المحاط بأشجار الظل . دهشت عندما وجدت السير " تشارلز " بنفسه في انتظارها .

– إنني سعيد بمجيئك . لقد كنت أخشى أن ترفضي بعد الطريقة الغبية التي تصرفت بها معك في أفريقيا .

– لم تفعل سوى ما أمنت به .

– ربما نعم . ولكن بعد مدة قصيرة بدأت لأول مرة في حياتي أفهم ابنتي ، وأدرك أن الوقت قد حان لكي أدعها تعيش حياتها ، وترتكب أخطاءها .

والحقيقة أنني أحضرتك هنا كي أكفر عن أخطائي .

لم يكن لدى " كاري " أية فكرة عما تسمعه ، ولكن سيكولوجية السير "تشارلز" لم تكن تهمها في شيء . . تبعته إلى المنزل دون أن تنبس ببنت شفة . عبرا بهوا طويلا واسعا وقد أثث أثاثا فاخرا ، ومنه إلى ممر يقود إلى خلف المنزل

توقف السير " تشارلز " وفتح بابا .

– هذا هو مكتبك . إنه ليس مؤثثا أثاثا فاخرا في هذه اللحظة ، فكل شيء مخزون الآن . وسأخبر المدير بحضورك .

خطت بضع خطوات داخل المنزل . وفحصت دون اهتمام الآلة الكاتبة الكهربائية.

ثم توقفت عند النافذة حيث أخذت تتأمل الحديقة وهي ساهمة .

لما كان ظهرها للباب فإنها لم تلاحظ من دخل منه ، ولكن فجأة تملكتها رعدة شديدة وعاطفة عارمة واستدارت ببطء.

كان " كيرك " واقفا على بعد أمتار منها . ثابتا ومشدودا ، وقد ركز عينيه عليها بعمق شديد .كاد يرعبها .كانت ملامحه مشدودة وكأنه لم ينم منذ وقت طويل .

– إنني .. إنني لم أتوقع أن أجدك هنا .. هل أنت تقطن هنا عند السير " تشارلز " ؟

نظرت إليه مرعوبة عندما أجاب :

– إنني لا أسكن عنده ، ولكني أعمل لديه .

– إنني لا أفهم شيئا .

خطا عدة خطوات عصبية داخل الغرفة ، ثم أتى بحركة تراجع لا إرادية ، وهو يخفي يديه اللتين تملكتهما رعدة عصبية خلف ظهره. وعندما وصل إلى طرف المكتب جلس . قال لها وهو يركز عينيه عليها :

– لقد عرض علي السير " تشارلز " هذه الوظيفة وقبلتها.

لم يستطع أن ينزع عينيه عن " كاري " . أكمل حديثه :

سأقوم بتنظيم حديقة الحيوانات .

– إذن أنت المدير ؟

– بالضبط .

– إنني لا أصدقك . فهذا العمل ليس لك ، فأنت لا تستطيع أن تبقى في مكان واحد تنفذ أوامر الآخرين بدلا من أن تتخذ قراراتك الخاصة .

– الذي لا أتحمله هو أن أبتعد عنك . ثم إن هذا العمل مسل . لقد أراد السير



" تشارلز " أن يمتلك كل الحيوانات الضخمة التي تجتذب الناس مثل الأسود ، والنمور ، والفيلة ، ولكن لدي مشاريع أخرى . إنني أنوي تربية فصائل من الأنواع المهددة بالانقراض . لقد بدأ اهتمام الناس يتزايد بحماية الطبيعة وأعتقد أن الجمهور سيهتم بـ ..

صاحت به وهي غير قادرة على الاستمرار في الاستماع له :

– أرجوك .. توقف .

بدا دهشا وقد فاجأته بصراخها .

– لقد اعتقدت أن مشاريعي تهمك .

– إنها تهمني ، ولكن ما أريد معرفته هو موضوع فيلمك التسجيلي القادم وكتبك القادمة . إنني لا أريدك أن تتخلى عن كل ذلك وتدير حديقة حيوانات .

قست قسمات " كيرك " وقال وقد أصابته حمى الكلام :

– لقد اتخذت قراري يا " كاري " ولن أرجع عنه ... اسمعيني . عندما لم أجدك عند عودتي من المستشفى ثرت ثورة عارمة ، وأردت الانطلاق بحثا عنك وإحضارك قسرا . ولكني تراجعت عندما وجدت أن ذلك يعد أنانية مطلقة ، بعد كل ذلك ، ماالسند الذي يدفعني لا ستعادتك ؟ حياة غير مستقرة ، دون منزل دائم . ولايمكن أن أطلب ماوددت من أية امرأة . عندئذ قلت في نفسي لابد أن أتعلم كيفية الحياة دونك ، ولكني لم أصل إلى تحقيق ذلك يا " كاري " . ولا تسأليني عن السبب ، وأيقنت أن الحياة لا تستحق عناء أن أعيشها إذا لم تشاركيني تلك الحياة . ولم يبق سوى حل واحد أساسي :تغيير الحياة من أساسها .

– ولهذا قبلت الوظيفة التي عرضها عليك السير " تشارلز " ؟

هز " كيرك " رأسه :

– لقد سبق أن تحدث إلي بشأنها ، ولكني رفضت ، وعندما سألته عما إذا كانت الوظيفة دائمة فأجابني بنعم . حدثت بيننا مناقشة صريحة ، وأوضحت له بصراحة أن عليه أن يكف عن إقناعي بالزواج من ابنته "ليديا " وبعد ذلك أصبحت الأمور واضحة ، وافق على أن يعطيني تصريحا مفتوحا لتنظيم هذه الحديقة ، وبناء عليه عدنا إلى إنجلترا .

قالت بلهجة ماكرة :

– حسنا . يبدو لي أنك نظمت حياتي أيضا . وأعتقد أننا سنقيم معا في هذا المنزل الصغير لنعيش سعيدين حتى آخر العمر .

– ليس بالضبط ، لقد فكرت في أنه يجب علينا أولا أن نتزوج .

تسمرت " كاري " في مكانها . الزواج من " كيرك " ، ذلك الحلم المستحيل هل يمكن أن يكون حقيقة ؟يا إلهي ... يالها من معجزة ..

ولكن فجأة صعدت داخلها نوبة من الشعور بالهوان .

– ألم يخطر ببالك أن تسألني رأيي ؟هل أصبح من المفترض أنني أوافقك على كل مشروعاتك ؟

– على العكس من ذلك تماما يا " كاري " ، أنت أكثر الناس الذين رأيتهم في حياتي استقلالا .

تغير وجهه فجأة :

– ألا تريدين إذن أن تتزوجيني ؟

– ليس هناك في العالم ما أشتهيه غير ذلك ، ولكني لا أريدك أن تترك مهنتك.

نهض وأخذ يذرع الغرفة ذهابا وإيابا :

– اسمعي يا " كاري " ... لقد سبق لي أن أفسدت زواجا لأنني رفضت أن أفهم ، ولا أريد أن أجازف بتكرار نفس الغلطة . إنني رجل من الصعب الحياة معه ولهذا وجب علي أن أمنح هذا الزواج كل فرص النجاح الممكنة .

ظهر عليها العناد :

– إذا أردت أن تتزوجني يجب أن تتخلى عن فكرة إدارة حديقة الحيوان ستشعر بالرعب من هذا العمل وسينتهي بنا الأمر بأن نصبح معا تعيسين

– ولكن ألا تريدين منزلا مستقراً ؟

نظرت إليه وعلى طرف شفتيها ابتسامة :

– خبرني ماذا كنت تنوي أن تفعل في العامين القادمين لو لم تكن قد واتتك فكرة الزواج مني ؟

– لا فائدة من الحديث عن ذلك الأمر .

– أستحلفك بالله أن تقول لي .



– حسنا ، لقد فكرت في إخراج سلسلة عن الحضارات البدائية التي لايكاد يتبقى منها شيء ، حيث مسحتها الحضارة ، وما نسميه بالتقدم .

وأمام ذلك كان من الضروري الإسراع بعمل أفلام عنها مادام ذلك متاحا الآن.

ويتطلب ذلك الذهاب إلى جميع الجهات المتاحة في العالم ويجب حساب عامين على الأقل لإتمام هذا العمل .بعد ذلك يجب كتابة مؤلف لتكملة السلسلة ، وكان لدي النية أن ....

قاطعته " كاري " فجأة وهزت كتفيها بتصميم ثم وقفت أمامه ونظرت في عينيه مباشرة .

– والآن اطلب مني أن أخبرك عما أود أن أفعله في العامين المقبلين ؟

كان رده أن احتضنها واعتصرها بين ذراعيه .

حسنا .. إذا كان لايهمك أن تعرف ، فأقول لك على أية حال :

إنني أريد أن أتبعك أينما ذهبت . يا " كيرك " . لقد عشت حياتي كلها في الرحيل . وأنا أحبك . إننا من نفس الفصيلة . فصيلة الرحّل ولن نشعر بالسعادة إذا بقينا في مكان واحد مدة طويلة . لتنجز سلسلة أفلامك عن الحضارات البدائية ، ثم نعود إلى إنجلترا لتكتب مؤلفك ، وأربي أنا طفلي . بعد ذلك سنجد مكانا في العالم نذهب إليه ولابد أن هناك آلاف الأماكن مثله في العالم.

– أنت مجنونة ... مجنونة تماما ، وهو أمر طبيعي .

– الأطفال دائما مشاكسون كما تعرف . لقد صحبني والداي حول العالم كله، عندما كنت طفلة ، وقد عشت مع ذلك عيشة متازة كما ترى . وأبناؤنا سيفعلون مثلنا . وإذا ما ذهبنا إلى مكان منزو فعلا ، فسنستطيع أن نجد مربية تعنى بهم حتى عودتنا ، لأنه من الواضح أنني لن أسمح بأن أذهب دونك إلى أي مكان.

– هل هذا مؤكد يا " كاري " ... مؤكد تماما ؟

– لو أردت زوجا يلتزم بمواعيد العمل لكان الأحرى بي أن أتزوج السير "تشارلز" .

– ومع ذلك تزوجتني أنا .

– هذا مايبدو ... رغم أنك لم تخبرني عن السبب الذي من أجله أردت الزواج مني .

– ربما لأنني أحبك .. أحبك حبا لايطاق .

ملأت وجه " كاري " ابتسامة سعيدة :

– آه .. على أية حال . لقد اعتقدت أنك لن تقولها أبدا .

جذبها أكثر وضغط جسدها بعنف .

– " كاري " ! لقد صرت لي شيئاً غريبا . أتعلمين !

– إنني ظللت أحس بملمس يديك على جلدي عندما تركتني في المعسكر ظل هذا الإحساس يطاردني طوال الليل ، ولم أستطع أن أتخلص من تلك الصور والأحاسيس . لقد تصورت أنني رأيتك عارية ، حتى ظننت أنني جننت .

دفنت وجهها في كتف " كيرك " .

– ألا تتذكر فعلا ما حدث في تلك القرية ؟

قاطعها فجأة ، ونظر إليها وهو غير مصدق :

– لا تقولي .. إن ... ذلك حدث فعلا ؟

– ولكن بلى ... في الحقيقة لم يحدث كما تظن لأنك عدت إلى النوم .

– ياإلهي ... ياأيتها المسكينة " كاري " ، لاشك أنك ظللت على تلك الذكرى قائمة . اسمعي ... لدي منزل صغير ليس ببعيد عن هنا ، وسألجأ إليه عندما أريد أن أنعم بالهدوء التام . ونستطيع أن نكون هناك في أقل من ساعة .

– أيجب أن تخطر السير " تشارلز " أنك لن تتولى هذا العمل ؟

– سنكلمه هاتفيا فيما بعد ..

– ليس قبل الغد على الأقل ؟

– أو بعد الغد !

– ثم بعد ذلك ؟

– بعد ذلك سنرحل معا نحن الاثنين إلى أرض الملاك والشيطان .

* * *